

نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل ، هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل . . الشخصية ، الحياة اليومية ، المسكن والملبس ، المأكولات والمشروبات ، نوع السجائر ، النظارات والساعات ، الأوراق والأقلام ، الأطباء والأدوية ، الزملاء والأصدقاء ، المقاهى والكازينوهات ، السير في الصباح والمساء ، القاهرة والإسكندرية . .

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت ، وأشياء أخرى ظهرت أو أضيفت في حياة نجيب محفوظ . . ولكن هل هى طارئة أو عابرة نتيجة لجائزة نوبل ؟ وإلى متى ؟ .

لقد اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية ، فيما عدا الصحف والمجلات ، كما اختفت أو كادت عادة الكتابة اليومية ، فيما عدا « وجهة نظر » الأسبوعية التى تنشر صباح كل خميس بجريدة الأهرام . .

وظهرت بكثافة أضواء وكاميرات السينما

بعد إعلان اسم الفائز الجديد؟! وبالتالي هل تحتفى العادات الطارئة؟! أم أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من عادات نجيب محفوظ الأصيلة؟! وهل يعود نجيب محفوظ إلى القراءة والكتابة بالقدر نفسه كما كان ذلك قبل حصوله على جائزة نوبل؟! .

أسئلة لا يمكن الإجابة عنها .

أما أسرة نجيب محفوظ الصغيرة : زوجته وابنتاه ، فيمكن التأكيد على أنها « أسرة ضد الأضواء » ، وعلى أن واحدة منهن لم تتغير شخصيتها وعاداتها ، برغم تدفق الموجات الرسمية والإعلامية الأولى على البيت الصغير المثل على النيل ، ربما بفضل مبادرة « الأهرام » بنقل مركز الثقل إلى « قاعة توفيق الحكيم » التي تحمل رقم ٦٠٦ بـ برج الأهرام - الدور السادس ، والتي لم تفتح بعد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ ، الذي أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنب الطويلة في مواجهة مكتب الحكيم .

أما الاهتمام الذي فاق كل التوقعات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائزة نوبل العالمية بعد ٨٨ عاماً من بداية منح الجائزة سنوياً ، فقد بدأت عام ١٩٠١ ، فيما عدا

والتليفزيون ، ومسجلات الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء ، كما زادت اللقاءات والمقابلات والأحاديث والتصريحات ، وأضيفت مسئولية الرد على الرسائل والبرقيات والتلكسات ، سواء كانت تهنئ أو عقوداً أو دعوات ، وكذلك التوقيع على صورته الفوتوغرافية ، أو صور الراغبين الشخصية ، أو البطاقات المرسله .

وكثيراً ما حدث ويحدث وضع عملة ورقية من فئة الدولار أو الإسترليني في المظروفات مصحوبة بطلب التوقيع كمصروفات بريد ، فيوقع عليها نجيب محفوظ ويعيدها إلى طالب التوقيع .

ولهذا يقول نجيب محفوظ : « لقد أصبحت موظفاً عند نوبل » أو جائزة نوبل ، أو مؤسسة نوبل .

ولم تكن كل التوقعات تنتظر كل هذا الكم الهائل من الاهتمام العالمي على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، منذ إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل في الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨ .

إن ما حدث قد فاق كل التوقعات التي لم تعد تقدر على تحديد وقت انتهاء أو انخفاض هذه الموجة الجارفة من الاهتمام ، هل هو قبل أو مع إعلان اسم الفائز الجديد؟! . . أم ترى يستمر هذا الاهتمام حتى

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد ، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها ، فمنذ إعلان نيا الفوز و هو يرحب بكل أجهزة الإعلام ، فلم يَخْتَف عن الأنظار ، ولم يردّ أحدًا ، ولم يملّ الأحاديث ، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية ، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره ، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى «ستوكهولم» لتسلم الجائزة ، وتلبية الدعوات خارج مصر . .

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه ، وكانت أعماله تنشر خارج مصر فى أكثر من بلد عربى ، فى حين أنه على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفاً إلا فى الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات ، وأهمها : الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والأسبانية ، والألمانية ، والروسية ، والصينية ، والسويدية .

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير ، وارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو بمعظم لغات العالم ، ولم تعد تُطبع وتُنشر فى مصر وحدها ، بل فى لبنان ، والعراق وسوريا والأردن ،

السنوات التى لم تمنح فيها الجائزة نتيجة لاندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبعد ٨٤ أديباً فازوا بها كاملة أو مناصفة . . هذا فضلاً عن أنه أول أديب عربى يفوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقى سونيكما ، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة .

كذلك فإن عربياً واحداً لم يفز قبل نجيب محفوظ بأى من جوائز نوبل العالمية الأدبية والعلمية ، فيما عدا نصف جائزة السلام التى فاز بها الرئيس أنور السادات .

وأخيراً فإن نجيب محفوظ قد فاز وحده بجائزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعة التى كانت مرشحة معه ، والمنافسة التى اشتدت فى التصفية النهائية .

ولا بد من ذكر سبب جوهرى يتمثل فى أن نجيب محفوظ لا يَخْتَلَف حوله اثنان فى الداخل والخارج من ناحية ، وأنه الأجدد من ناحية أخرى ، خاصة فى عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى ، وإلا أصبح الوضع غاية فى الحرج لمؤسسة نوبل ، ولنجيب محفوظ نفسه ، وللجميع أيضاً .

والجزائر وتونس ، والمغرب ، وفي مناطق كثيرة من العالم ، مضافة إلى الدول التي ذكرناها من قبل .

وكما عرفت أعمال نجيب محفوظ طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون في الوطن العربي قبل فوزه بجائزة نوبل ، بدأت تزحف بعد فوزه بجائزة نوبل إلى إذاعات وتلفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله في السينما العالمية ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة .

وبعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، بدأت دور النشر العربية في تقديم بعض أعماله بشكل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال .

ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن دور النشر العربية والعالمية قد فكرت في نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة .

ووقعت الواقعة ..

صحيح أن جائزة نوبل العالمية في الآداب لم تكن وساماً على صدر الكاتب المصري الكبير نجيب محفوظ فحسب ، ولكنها كانت وساماً على صدر مصر والوطن العربي كله . . . وصحيح أيضاً أن طعنة السكين الغادرة قد انغرست في عُنق الكاتب الكبير كما

انغرست في عُنق كل مواطن صالح على أرض الكنانة ، وكل إنسان شريف في العالم أجمع . وإن كانت الجائزة قد حققت كل أهدافها في رفع راية العروبة واسم مصر ، فإن الطعنة لم تحقق أى هدف ، فقد نَجَّى الله الرجل وأنعم عليه بالشفاء ، وأكرمه بمواصلة العطاء ، وطمان قلوب أهله وأصدقائه ومحبيه ومواطنيه والمدافعين عن حق الحياة وحق الرأي ، المناضلين ضد التطرف والإرهاب .

لقد تحولت الطعنة الغادرة إلى جائزة أكبر ، ووسام أرفع ، وصفحة ناصعة ، ليس في تاريخ الرجل وحده ، بل في تاريخ الأمة أيضاً ، بعد أن حاولت الأيدي القذرة تحويل التكريم المشرف إلى تجريم آثم ، وقلب الإشادة الكريمة إلى إدانة دنسة ، وتغيير الأمان الهادئ إلى غدر هادر ، واستبدال الحرية المطلقة بالحركة المقيدة ، ولكن إرادة الله كانت أقوى ، وسيف العدل كان أمضى ، وشجاعة الرجل كانت أصلب ، وحب الناس كان أرحم ، هذا الحب الذي كسر السكين وقبض على اليد المخضبة بالدماء ، وتضرع إلى الله العلي القدير أن يلطف بشيخوخة الرجل الطيب وبجسده النحيل ، حتى تظل يده ممدودة لمصافحة الجميع ، وهامته مرفوعة في ظل الجميع .

وهذه المجموعة من الكتب هي باكورة منشورات الدار المصرية اللبنانية الخاصة بإنتاج نجيب محفوظ من المقالات ، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ محمد رشاد بالفكرة ، وأقبل على تنفيذ المشروع بترحيب من نجيب محفوظ . . وهي مقالات كتبها نجيب محفوظ قبل حصوله على جائزة نوبل - من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٧ - على أمل نشر مقالاته السابقة على تلك الحقبة ، ومنذ الأربعينيات وحتى الآن !

هكذا فكرت ونقبت واخترت وأعددت هذه المقالات في ثلاثة كتب أولاً ، هي : « الدين والديمقراطية » ، و « الشباب والحرية » ، و « الثقافة والتعليم » ، لتكون البداية ، بعد أن أضاف نجيب محفوظ إلى كل منها كلمة « حول » ، تعبيراً عن تواضعه المعهود .

وهكذا تحققت تلك الفكرة ، وظهرت تلك المقالات إلى النور . .

وهذه المجموعة الجديدة من الكتب التي تضم وجهة نظر كاتبنا الكبير نجيب محفوظ تبدأ قبيل حصوله على جائزة نوبل في أكتوبر عام ١٩٨٨ ، وتنتهي مع الطعنة الغادرة في أكتوبر ١٩٩٤

. . وتتكون من خمسة كتب ، هي : « حول التدين والتطرف » ، و « حول العدل والعدالة » ، و « حول التحرر والتقدم » ، و « حول العلم والعمل » ، و « حول العرب والعروبة » . .

إنها بحق حوليات نجيب محفوظ التي نرجو ونأمل أن تستمر في الصدور حتى تستوعب كل ماكتبه الكاتب الكبير من وجهات نظر وآراء مختلفة ، بعد أن ظلت كتبه مقصورة على إنتاجه الروائي والقصصي والمسرحي ، دون مقالاته ذات المستوى الرفيع الذي لا يقل بأى حال عن مستوى أعماله الإبداعية الشهيرة . . عندئذ يحق لنا أن نتوجه بالشكر والتقدير لناشرنا المثقف محمد رشاد الذي تحمس لهذا المشروع القومي الكبير ، كما توجهنا إليه بالشكر والتقدير عند بداية تنفيذ هذا المشروع .

والثقة كل الثقة ، في أن تحظى هذه الكتب بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفوظ الروائية والقصصية والمسرحية . . والثقة كل الثقة ، في أن تترجم هي أيضاً إلى معظم لغات العالم ، بل كل لغات العالم . . والله هو الموفق دائماً !

فتحي العشري

حقيقة سليمان خاطر

ظهر سليمان خاطر في حياتنا ليكشفها ، وإن لم تكن في حاجة إلى كاشف ، ولولا التواء بنائنا وتهلهله لما كان الرجل إلا خبراً من أخبار الحوادث المفجعة يهز النفس يوماً ثم يتلاشى في زحمة الأحداث ، فثمة جريمة على الحدود يتناولها التحقيق ويقضى فيها القضاء بما هو قاضٍ ، وعند ذلك تتكشف الملابس والدوافع ، وتنجلي الحقيقة ، فيعرفها كل مواطن بدون حاجة إلى تأويل أو اجتهاد ، أمّا ما حدث في واقعنا فهو ما يدعو للذهول والعجب ، فقد تفجّر الخلاف حول الرجل وفعله بصورة لا ترد عادة إلا حول المشكلات الميتافيزيقية المعقدة ، فهو إنسان غير سويّ ، قتل بدون أن يدري كيف قتل ، وقيل : بل هو حارس أمين تصدى للدفاع عن الحدود ، وثالث يقول : إنه بطل وطني تحدى الاستفزاز الإسرائيلي ، ورابع يعلن أنه مجاهد إسلامي رفع راية الإسلام . وعن نهايته الأسيفة يقول البعض : إنه انتحر، ويؤكد آخرون أنه قتل ، ويعتقد غير هؤلاء وأولئك أنه سيق إلى الانتحار ، وقد خرجت من الضجة المثارة بنتيجتين :

الأولى : أننا نعيش في جو يفتقد الصدق والثقة ويسبح في ظلمات مُدلهمة . جو انتزع منه أساس التفاهم والمنطق الذي يجب أن يقوم حد أدنى منه بين الناس مهما اختلفت آراؤهم .

حول ترشيح الديمقراطية

فليوفقنا الله إلى التكيف مع الديمقراطية بلا عناء ، ومعاشرة الحرية بلا تدمير ، والتعامل مع الرأي الآخر بلا حنق . وعلم الله أنه ليس أحب إلينا من الموضوعية في الكتابة ، بل إن جسامه المشكلات وخطورة المواقف لَمِمَّا يدعو إلى المزيد من الموضوعية والجدية ، وتجنب المهارات والتطاول . ولكن علينا أن نتذكر أن لكل شعب طبعه وحظه من العقلانية أو الانفعالية ، وأن نواجه الواقع بما يناسبه من الإدراك والتسامح . وفضلا عن ذلك كله ففي القانون العام ما يحمي الأعراض ، ويحفظ حق الأبرياء ، ويحاسب كل مخطيء على خطئه . وشد ما يسوؤني أن يقترن نقد أسلوب الحوار بنقد غير مباشر للديمقراطية نفسها . فكأننا نضن بنعمتها علينا ، أو نوحى بانضباط جديد لها .

كلا يأسادة ، إن نقد أسلوب الحوار مقبول على العين والرأس كعنصر من عناصر الحرية ، فضلاً عن أن الحوار مهما اشتط او انحرف أو عنف فلا يُقارن بحالٍ بأقل هُناك الديكتاتورية ، فضلاً عن كباثرها من الهزائم والفساد والفتك بحقوق الإنسان .

ولعله مما يخفف من وقع بعض أساليب الحوار عندنا أن نذكر أساليب الممارسة الديمقراطية في بلاد الديمقراطية العريقة ، وما يصاحبها من

الثانية : أن شعبنا قد تلقى ضربات موجعة لم يكن يتوقعها ولا يتصورها ، جرحت كبرياءه في صميمها ، فبات ملهوفاً على تضييد جرحه واستعادة توازنه ، فلما أن نادى قومٌ ببطولة الجندی تعلقت به الأفتدة ، والتمست فيها بعض الشفاء مما تعاني من قهر ، فها هو ذا بطل يرد بعد أن وقفت دول الرفض والتصدي تتفرج على غزو لبنان والإغارة على تونس .

وهكذا فالجندی الراحل لم يكن رجلاً ، ولكنه كان ظاهرة أراد بها الحكيم العليم أن يذكرنا بأنفسنا وبحياتنا ، وعلينا أن نبادر إلى تنقية جونا من السموم الهائمة فيه قبل أن يُبعث سليلان خاطر من قبره ويصوب مدفعه نحونا هذه المرة .

١٩٨٦/١/٢٣

اشتدى أزمة .. تنفرجى

يبدو أننا مقبلون على شدة جديدة فى حياتنا الاقتصادية . . هذا ما أنذرنا به مسئول فى سياق تعليقه على ما يهدد سوق البترول من انهيار . وهذه الشدة القادمة تقتضى بطبيعة الحال مزيداً من الانضباط ، وتطالب المواطنين بمزيد من الصبر ، فكيف يمكن أن نواجه التحديات - قديمها وحديثها - مواجهة جديرة بأمة متحضرة ؟ كتمهيد أولى أقول للمعارضة : إنَّ عليها أن تنظر إلى الشدة باعتبارها محنة وطنية عامة تدعوها إلى التفكير والعمل للإنقاذ ودفع البلاء ، لا للمزايدة أو إثارة الخواطر ، أو إحراج الخصوم ، ولدى من الثقة فى وطنيتها وحكمتها ما يؤهلنى لتوقع الخير كل الخير منها .

ومن الناحية الأخرى فعلى الحكومة أن تبدأ بنفسها لتقنع الناس بجديتها ، ولتكون لهم قدوة حسنة ، فتضغط مصروفاتها إلى أقصى حد ممكن ، وتقضى على جميع مظاهر البذخ والإسراف . وعليها أن تضاعف جهدها فى تحصيل أموالها ، وتنشط جهازها الضرائبى ليعمل بالصدق والنزاهة المطلوبين ، وعليها أن تجدد قطاعها العام وتحرره من العوائق ، وتراقب قياداته ، وتدفعه للإنتاج بالحوافز للمجدين والجزاءات للمنحرفين ، وعند ذاك فقط يحق لها إعادة النظر فى الدعم أو رفع أسعار

حرية مذهلة فى النقد والفكر والسلوك ، وشتى وسائل الاحتجاج والإعراب عن الرأى ، وما يجرى مجرى التقديس من احترام حقوق الإنسان ، مما يعتبر مجتمعا بالقياس إليها آية فى الانضباط والتزمت ، وأحياناً فى التأخر . وعلينا أخيراً أن نذكر أن ما نعانى من أزمات فى الاقتصاد والهياكل الأساسية والديون والانحلال والتسيب واللامبالاة ما هو إلا الثمرة المرة الحتمية لتجاوزات ديكتاتورية ، وأن تجاوزات الديمقراطية بالقياس إليها تعد لهواً ولعباً . وعلى أى حال فنحن نأمل لديمقراطيتنا كمال الحرية والرشد .

١٩٨٦ / ٢ / ١٣

معركة عنيفة

ليس الوطن الفاسد من يموج بآلاف الفاسدين ، ولكنه من يتهاون مع فاسد واحد . لم ألس فرحة في صدر من أخالط من المواطنين مثلما لمستها في أعقاب سقوط من سَقَطَ من المنحرفين في قبضة العدالة ، فرحة حقيقية لا أذكر لها نظيراً إلا يوم نصر العبور ، أقرر هذا لا شباته في أحد ، ولا تشفياً من قوم نهشوا لحم الكنانة وهي تجاهد تحديات لم تجابه بمثلها من قبل ، ولكن استبشاراً بالعدل الذي هو أساس الملك ، وتطلعاً إلى الطمأنينة التي لا تستقر إلا في عهد النقاء المضىء ، وأملاً في حوز إدارة قادرة نظيفة يمكنها أن تقتحم بنجاح عباب الأزمات والمصاعب ، لذلك يجب أن تمضى هذه الحركة المباركة حتى نهايتها المنشودة ، ولن تنتهى حتى تقطع كل يد امتدت بسوء إلى مسيرتنا ودفعت بنا إلى المأزق الذي نكافح للخروج منه .

كان الشعب يعانى وهم بنجوة يتفرجون ، وبشار جرائمهم يتمتعون ، واليوم يستعيد الشعب إيمانه بنفسه وهو يراهم في الحديد ، ويستمد من ذلك قوة تنعش روحه ، وتشد من عزمته ، وتسدد خطاه ، وتدعوه إلى الانتفاء والعمل ، اليوم يعتدل الميزان ويصبح للحياة معنى ، وتتردد في نفوسنا الآيتان الكريمتان : ﴿ فمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

بعض السلع ، مع عدم المساس بذوى الدخل المحدود العاجزين عن تقديم أى توضيحات جديدة .

وقد يكون من وسائل المواجهة الشاملة أن تضم إلى الوزارة وزراء جُددًا من المعارضة ، كوزراء دولة ، ليشاركوا اشتراكاً مباشراً في حمل المسؤولية . وأن يشمل الائتلاف الأحزاب التي ليس لها ممثلون في مجلس الشعب ، بل حتى الأحزاب التي لم تحصل بعد على شرعية وجودها ، فلعل الموقف أكبر من الشكليات جميعاً ، خاصة أنه لن يبنى عليه إسكات صوت معارض ، فحتى نواب الأغلبية يعارضون أحياناً بدون أن يطعن ذلك في حزبيتهم . . إذا كانت الشدة تتفاقم فلا أقل من أن نتكفل في مواجهتها .

١٩٨٦ / ٢ / ٢٠

الوصايا الخمس

وقعت واقعة زلزلت جوانحنا ، أحصى قوم خسائرها وهم صادقون ، ونوّه قوم بأرباحها وهم صادقون أيضًا ، أنّ لنا أنّ نواجه عواقبها ، وأنّ نمضى فى ذلك بكل عزم وبصيرة .

أولاً : يجب أن نجلو الغموض عمّا وقع ، أن نعرف حقيقة ما ظهر منها وما بطن ، وأن نحدد المسئولية فيه بدون موارد أو خداع للنفس ، وأن ننقض على الداء فى مكمنه بعد أن احتوينا عرضًا من أعراضه ، وأن نستثمر ذلك الإنذار المخيف الذى دهمنا ونحن فى غفلة لا عذر لها ولا اعتذار عنها إلا بالتفكير والعمل .

ثانيًا : أن نعيد النظر فى الموازنة لتعويض الخسائر الطارئة ، ولمعالجة انتكاسات الأزمة القديمة ، وسد الثغرات بما تقتضيه من ضغط للمصروفات ، ودأب على تحصيل الضرائب ، ومضاعفة للعمل ، وفرض واجبات وطنية جديدة على القادرين منا ، ثم ما ينبغى أن يصاحب ذلك كله من صبر وتصبر وتكشف وتضامن خلىق بالرجال وهم يخوضون المحن .

ثالثًا : أن نخطو خطوات حاسمة نحو ترسيخ الديمقراطية ، وتدعيم سلطة الشعب ورقابته بعد أن وضح لكل ذى عينين أن الخطايا

وجديرنا ونحن نتابع هذه الوثبة فى سموها أن نجدد الولاء للرئيس مبارك ، ونزداد ثقة فى رجال القانون ورجال الأمن ، فالنجاة لا تُناط برجال الهندسة والاقتصاد والثقافة فحسب ، ولكن لا جدوى من الهندسة والاقتصاد والثقافة إن لم يدعمها القانون والأمن ، وموازين الثواب والعقاب ، وعطر الحياة الأخلاقية التى أمرنا بها الله ، ومن أجلها أرسل المرسلين مبشرين ومنذرين ، وجعل لهذه الحياة الحائرة المحيرة معنى يلوذ به القلب فى معركة الأبدية .

١٩٨٦ / ٢ / ٢٧

نحن مطالبون اليوم بواجبين جوهريين هما : التنمية الشاملة ، والسلام الاجتماعى . وهما مطلبان متكاملان ، فلا تنمية بغير سلام اجتماعى ، ولا سلام اجتماعى بغير تنمية . ولكن المشكلة أننا لا نملك الإمكانيات التى تحقق الهدفين معاً على المستوى المنشود . فالتنمية تستهلك فائضنا كله ، بالإضافة إلى قروض وإعانات ، والسلام الاجتماعى يقتضى تحقيق قدر من العدالة الاجتماعية تنتفى معه المعاناة ، ويطمئن فى ظل الكادحون ، بل والقادرون ، وفضلاً عن ذلك فنحن نتلهف على يوم نكف فيه عن الاقتراض ، ونتمنى أن يحدث ذلك اليوم قبل الغد ، فما العمل لتحقيق هذه الأهداف مجتمعة ودون تأجيل ؟ .

قد ننصح بضغط المصروفات ، وتحصيل الضرائب ، وزيادة الموارد ، بل لم أرَ بأساً - وأنا آسف - من تقصير خطوط التنمية ، ولكن ذلك كله ربما لا يبلغنا ما نريد ، فلم يبق إلا أن نطالب القادرين بأداء واجهم على أتم ما يتطلبه الأداء الوطنى ، نطالبهم بأن يكونوا وطنيين اقتصاديين لا اقتصاديين فقط . عليهم أن يستثمروا أموالهم بلا إبطاء . عليهم ألا يتخلوا عن الوطن فى محنته ، وبخاصة أننا لا نطالبهم بالتضحية ، ولكن بالإنتاج والربح الحلال . يجب أن يقوموا بالواجب الأكبر من التنمية

لا تتوالد أسبابها وتستفحل نتائجها ويضل سعيها إلا فى ظلام لا تنوره أضواء الشورى ، أو لا تسوده التربية الديمقراطية الحقيقية .

رابعاً : أن نستمر فى مطاردة المنحرفين بغير هوادة ، ومقاتلة المهريين وتجار السموم والمقصرين ، بعد أن ثبت لكل متامل أنهم مصدر استفزاز وحشى يتفجر فى الملمات ثورة وجنوناً ، غير مفرق بين عدو وصديق .

خامساً : أن نلبى نداء الوطنية إلى الاتحاد لنكون صفاً واحداً أمام طوفان الحوادث ، وأكرر ما قلته منذ أسابيع من اقتراح تمثيل الأحزاب بوزراء فى الحكومة ، ولا أقصد بذلك مصادرة الآراء المعارضة ، ولكنى أتيح لها فرصة أكبر للانطلاق بعيداً عن التحرج الحزبى ، أو الاتهام بسوء المقاصد والمزايدة .

فلتتعلم لنعمل والعقبى للعاملين .

١٩٨٦ / ٣ / ٦

التربية الدينية

ماذا نريد من التربية الدينية ؟ نريد منها أن تجسد الدين روحًا ، ومبادئ في الفرد . طبعي أن نبدأ بتلقين الطفل أركان دينه ، وتعليمه كيف يؤديها ، وعلينا بعد ذلك أن نبث في وجدانه المبادئ التي ميزت الرسالة ، ومكنت المؤمنين من أن يقيموا للدين دارًا ، وأن يعمرها الدار بالحضارة والثقافة والعلم ، ومن ذلك : مبدأ الشورى في الحكم ، وتقديس الإنسان والحرية ، والمساواة بين البشر بدون اعتبار لعنصر أو لون ، والتسامح الديني ، وخلافة الإنسان لله في الملكية ، وشروط سلامتها ، والتفكير كفريضة ، والعلم كفريضة ، والعمل كقيمة مفضلة حتى على العبادة والتضامن البشري في المجتمع .

هذه المبادئ يجب أن يتكون منها وجدانه عامًا بعد عام ، مؤيدة بالآيات والأحاديث والوقائع التاريخية ، ويجب أن يجري الامتحان فيها لا على الورق ، أو لا على الورق فحسب ، ولكن من خلال ملاحظته السلوك العام في المدرسة ، كما ينعكس في علاقة التلميذ بالتلميذ ، والتلميذ بالمدرسة ، والتلميذ وواجباته ، والعلوم التي يتلقاها . نريد من التربية أن تجسد الدين في التلميذ قولاً وفعلاً وسلوكاً ورؤية وعلاقات إنسانية . نريد منها أن تخلق لنا جيلاً من المتتمين حقاً وصدقاً إلى الواجب والعمل والعلم والتفكير وحقوق الإنسان وحقوق المجتمع .

لتممكن الحكومة من أداء واجبها نحو السلام الاجتماعي ، ويجب أن يستشعروا الحماس والرغبة في العمل قبل إملاء الشروط والمطالبة بالامتيازات والتسهيلات .

وهذا الخطاب موجه إلى الأغنياء في مصر والعاملين في الخارج ، ومن يحفظ مالاً في أي مكان كان . . لا يجوز أن تعاني أمة وتتعثر في زمن اكتظت أركانها بالقادرين بدرجة وكثافة لم تعرفهما من قبل . وعليكم أن تبادروا إلى الواجب كما يليق بقوم ينعمون بنعمة الديمقراطية وسيادة القانون . وتذكروا أن أي مواطن مسئول عن أي محنة تنزل بوطنه ، وأن مسؤوليته تتناسب ضرورة مع قدرته وإمكانياته . * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره * .

١٩٨٦ / ٤ / ٢٤

خسارتنا في الأخلاق في مقدمة خسائرنا جميعًا . قد تلح علينا ذكريات مرة مثل الديون المتراكمة ، والنمو السكاني الفادح ، وتردى الإدارة ، وتدهور الهياكل الأساسية ، واختلال ميزان الصادر والوارد ، وتعثر الصناعة والزراعة ، فننسى في غمارها الأخلاق وما اعترأها من فساد، أو لا نضعها في موضعها المناسب من جدول السليبيات ، على حين أنها تكمن في الأساس ، وتنفض سمومها وراء كل سلبية من السليبيات . ولا أقرر ذلك من منطلق يأس ، فإنه لا يغيب عنى الجهد الصادق المبذول للترميم والتجديد والإصلاح ، ولا التخطيط المبني على العلم والشورى ، المستلهم من الوطنية والإيمان ، ولكنى أعتز بواقع وأقربُ بحقيقة ، وأنه لا نجاح ولا تقدم بغير أخلاق نقية صلبة ، تمد صاحبها بالعزيمة والإصرار والانتماء والإيثار ، والوفاء للوطن والمواطنين والقيم السامية .

أجل مامن مجتمع يخلو من فساد ، ولكنه يمارس عادة في هامش محدود يظل معه الكل سلبياً صحيحاً أمناً . أما مجتمعنا فقد تعرض لآفات شرسة نتيجة لحكم شمولي غاشم ، وحروب طاحنة ، وأزمات اقتصادية ، وإحباطات متلاحقة ، فنسى نفسه وتقاليده النبيلة ، وذهل عن مبادئه ، وتردى في الانتهازية والأنانية ، وهرول نحو النجاح

لا يجوز في أمة متدينة أن تعرف سلبيات مثل الكسل والتهاون والتسيب والظلم والرشوة والاستغلال والامتيازات ، فإن وجدت فإنها يعني هذا أنها لا تعرف دينها ، فإن كانت تعرفه فإنها يعني أنها تعرفه ولا تؤمن به ، فإن كانت تؤمن به فإنها يعني أن إيمانها ينقصه التطبيق ، وأنها تتهاون في تعليمه لأبنائها . ليست التربية الدينية حفظاً وتسميعاً وإعراياً ، ولكنها محاولة صادقة لإعادة خلق الفرد على أسس سامية يصلح بها لمواجهة تحديات عصره ، وتحفظ له التوازن النفسى والعقلى والخلقى بين ما يبغى في دنياه ، وما يتطلع إليه في آخرته .

١٩٨٦ / ٥ / ١٥

حديث اليوم لا جديد فيه ، حديث يعرفه كل مسلم مهما تكن درجته في ثقافته الدينية ، حديث أفتنَّ الدعاة والمفكرون في عرضه ، وتقديم الشواهد على صدقه من القرآن والحديث وأقوال التابعين ، وأفعال الولاة الصالحين . فما هو هذا الحديث ؟

قالوا : إن ركيزة الإيمان - وهي شهادة أن لا إله إلا الله - تعنى تحرير الإنسان من أى ربة أو عبودية أو سلطة دنيوية ، فالمسلم حقاً هو الحر حقاً الذى لا يستعبده فرد ، أو نظام ، أو شهوة .

وقالوا : إن الإسلام يحث على العلم ، ويكرم العالم ويؤثره بالفضل والعزة ، فالمسلم حقاً ينبغى أن يكون عالماً أو مُحِبّاً للعلم والعلماء .

وقالوا : إن الإسلام يدعو إلى التفكير والتأمل ، ويقدم العقل ، فالمسلم حقاً هو المفكر ، أو من يتخذ من التفكير نبراساً وهداية في حياته .

وقالوا : إن الإسلام يحرص على العمل ، حتى ليفضله على العبادة ، فالمسلم حقاً هو العامل المجد المخلص لعمله المتقن له .

وقالوا : إن الإسلام يوحد في رؤيته بين البشر ، لا يفرق بين فرد وآخر

الرخيص في استهتار ماجن ولا مبالاة مخزية ، ولو أنك تقصيت عن أسباب خسائرتنا لوجدت أنها ترجع إلى الفساد بمثل ما ترجع إلى سائر الإجباطات . وهكذا أعنا التحديات على أنفسنا بالهزيمة أمام الشهوات ، ولن تنفعنا الخطط الخمسية وحدها ما لم تؤيدها الشخصية القوية المؤمنة المنتمية المتطلعة إلى الحق والخير والجمال .

ومن حسن الحظ أن الجو قد تهيأ للبعث الأخلاقي بفضل ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان ، وقدوة في القيادة ، هى مثال طيب للطهارة والوطنية ، وأخيراً وليس آخراً بذلك النزوع المبين نحو الدين القويم ، الذى يدل على رغبة حارة في التفكير والتطهر ، وما علينا إلا أن ندعم الجوانب الإيجابية في استمرارية لا تنقطع ، حتى نرد المواطن إلى أحسن تقويم ، فهو ثروتنا الحقيقية التى نعتمد عليها في مشوارنا الطويل .

١٩٨٦ / ٥ / ٢٢

نحو خطة أخلاقية

بسبب من عنصر أو لون أو عصبية أو طبقة ، فالمسلم حقاً من يحترم الإنسان لإنسانيته وقيمه وتقواه وسلوكه .

وقالوا : إن الإسلام يحترم جميع الأديان ، ويهب كل ضمير حرিতে في الاختيار ، فلا إكراه في الدين ، والله يهدى من يشاء ، فالمسلم حقاً من يُعائش جميع الأديان في سلام . هكذا يقول الدعاة والمفكرون ، ويقدمون الشواهد من القرآن والسنة والتاريخ .

وكما قلت : فلا يجهل ذلك مسلم مهما كانت درجته في الاطلاع على دينه ، ولكننا نفتقد تلك القيم في حياتنا اليومية ، أو لا نجدتها بالحضور الذي يجب أن تحظى به بين قوم عُرفوا من قديم بالتدين والتقوى ، وكأنها معارف من الثقافة التي يطلع عليها المطلعون ، ثم يمشون إلى غيرها في سرور ودعة ولا مبالاة . والحق أنها يجب أن تستقر في قلوب الأبناء منذ الصغر ، وتجري مع دمائهم ، وتتردد مع أنفاسهم ، كى تنعكس في سلوكهم اليومي وتنفرد بآثارها شخصياتهم ، وهذه هى مهمة التربية ورسالتها ، وواجب أولى مما ينبغى أن تضطلع به وزارة التربية ، وأجهزة الإعلام ، والآباء ، وبها يحق لنا أن نقول : إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان .

١٩٨٦ / ٦ / ١٢

تحدثنا في الأسبوع الماضى عن هدفنا القومى والجهد المبذول لتحقيقه ، كما تحدثنا عن تجاهل هذا الهدف برغم وضوحه وإنكار الجهد والتشكك فيه ، أو عدم إيفائه حقه من التقبل والحماس ، مع تعليل ذلك بالفساد وسوء الإدارة .

والحق أن المعارضة بدأت نشاطها بالتركيز على هذين الداءين ، وبخاصة الداء الفاسد . وأعترف بأننى أشفقت من عنف الحملة ، لا تسامحاً مع الفساد ، ولكن خوفاً من أن تتبعثر الجهود - التى يجب أن تحتشد لمواجهة التحديات - في معارك جانبية تعتبر على أهميتها ثانوية بالقياس إلى العدو الأول ، وهو التخلف وسوء الحال . ثم هالنى بعد ذلك ما ألمسه عند الشباب من شك وسوء ظن شمل الرجال والأعمال جميعاً ، وهيهات أن تصح لنا خطة أو يثمر عمل بغير تأييد صادق من إيمان الشباب وحماسه وانتمائه ، بدلا من تمزقه بين اللامبالاة من ناحية ، والتطرف والعنف من ناحية أخرى . وإنما لكأساة أن يستمر الحال على ذلك برغم استقرار الديمقراطية بيننا ، وتمتعنا بقيادة وطنية طاهرة تصلح قدوة ومثالا ، فماذا ينقصنا ؟

يجيب على ذلك الشباب قائلاً : كيف نطالب بالعمل أمام إدارة تقيم العراقيل ، وتثبط الهمم بالروتين والتعقيد وسوء المعاملة ، وكيف نطالب

بالتضحية فى بلد نهفته قلة بلا رحمة ولا ذمة ، وتلك عقيدة تمكنت من الأنفس بدون حاجة إلى أدلة أو أمثلة ، وهى تشند رسوخاً كما اشتدت الأزمة حدة ، حتى اقتنعت مع المقتنعين بأنه لا جدوى من العمل إن لم يسبقه أو يصاحبه تطهير شامل لا يعفى من قبضته إثمًا قديماً أو حديثاً ، وأن ذلك هو السبيل حقاً إلى إقناع الشعب بالجدية ومطالبته بالعمل والتضحية .

ونحن قوم متدينون ، وبمعنى آخر أخلاقيون ، ولا سبيل إلى امتلاك قلوبنا إلا بإشباع حاستنا الأخلاقية ، فنفكر فى الأخلاق بقدر ما نفكر فى إصدار القرارات .

١٩٨٦ / ٧ / ٣

إنهما توءمان : اللامبالاة والتطرف : يبدوان نقيضين ، ولكن تناقضهما الظاهرى ناجم عن خاصية واحدة مشتركة ، هى التطرف . فاللامبالى يقف عند آخر طرف فى خط الانتهاء ، كما أن المتطرف يقف فى آخر طرفه الآخر . وبنظرة فى ظروفنا الخاصة نجد أن باعثهما واحد ، هو الفساد ، جر الأول إلى حافة اليأس من كل شىء ، والآخر إلى الغضب على كل شىء ، وكلا الموقفين ينحرف عن الصواب ، فاللامبالاة قد تورط صاحبها فى الفساد ، والتطرف كثيراً ما يغرى بالعنف وتخطى القانون ، والنتيجة المؤسفة أن الفساد يعم فيغطى على المفسد والغاضب واللامبالى . وقد ينجو المفسد لعدم كفاية الأدلة أو لشدة حذره ، وهو يرتكب جريمته الكاملة ، وكثيراً ما يقع اللامبالى لقلة خبرته ، والمتطرف لتهوره . ولن يجىء الإنقاذ بالوعظ ، ولا حتى بالمناقشة الحرة ، وإن لم تخل من فوائد ، ولكن أولاً وقبل كل شىء بالقضاء على الفساد والمفسدين ، وبالقدوة الحسنة . فعلى الذين ينفقون الجهد والمال فى مراقبة التيارات المضادة ، والتأهب للتصدى لها أن ينفقوا نصف هذا الجهد والمال فى الرقابة اليقظة الساهرة على الإدارة وقنوات العمل فى المصالح والطريق ، ومطاردة المستغلين والشريهين والعابثين بالأقوات . عليهم أن يطهروا الحياة من الشوائب التى تُسوّه وجهها ،

حسبنا أزمة واحدة

وتقبح سمعتها ، لترجع الثقة إلى النفوس ، وتعود الروح إلى القلوب ،
وليحظى العمل المبذول في التنمية الشاملة بالتصديق الذى يستحقه ،
والتأييد الذى يستأهله ، لكى نصبح بنعمة الطهارة والإخلاص والجدية
إخواناً متعاونين ، ويداً واحدة أمام تحديات فرضت علينا في ليل الجهل
والعسف والغرور ، ولا محيص عن أن يكفر عنها البريء بدلا من
المجرم، إذ لا بديل عن أن نمضى بالسفينة إلى مرفأ الأمان والسلام .

١٩٨٦ / ٨ / ٧

لا نسمع إلا الشكوى ، ولا نرى إلا وجوهاً مكفهرة . ما أكثر العمل
المبذول في تنفيذ التنمية الشاملة ، وما أكثر ما تحقق في الأعوام القلائل
الماضية ، فلماذا لا نسمع إلا الشكوى ، ولا نرى إلا وجوهاً مكفهرة؟!
المسألة بكل بساطة أننا نجتاز عبوراً شاقاً ، وأننا لن نجنى ثمراته قبل
مضى وقت غير قصير ، وأننا مطالبون بالصبر والتصبر ، والتفانى في
العمل قبل بلوغ أولى درجات النجاة .

ولكننا نملك ما نقدمه للمواطن المرهق في فترة العبور الحرجة بما
ينخف من معاناته ، ويشعره بالرعاية والعناية ، ويعينه على الصبر
والتصبر ، فتخفت أصوات شكواه ، وتنسبط أسارير وجهه ، بدون أن
يكلفنا ذلك اقتراضاً جديداً ، أو إعانة ، أو الالتجاء إلى خبرة أجنبية
باهظة التكاليف .

يمكن أن نحسن معاملة الناس في الطريق والمصالح ، وحيثما
يوجدون ، لطلب خدمة أو منفعة ، أو أداء واجب . هذا حقهم كبشر
ومواطنين ، فإذا انتقص منه سوء الطبع أو الخُلُق فليُقَوِّم القانون والرقابة
والحزم ما يتهاون فيه سوء الطبع والخُلُق ، ليخلص للمواطن الاحترام
والتيسير وحُسن المعاملة .

حوار بالإنجليزية

ويمكن أن نخلق حياة جديدة ، وعلاقات إنسانية مضيئة في نطاق الميزانية المعتمدة إذا صدقت عزمنا على محاربة الإهمال المدمر ، والتسيب القاتل ، مع العناية بالنظافة والخضرة ، والدفاع عن شواطئ النيل ، وتنقية الجو والطريق مما يعرض المارة للأخطار ، وإذا نفذنا عشرات القوانين المهملة .

ويمكن أن نتقدم خطوة أخرى لتطهير الحياة السياسية مما يشوبها من قوانين استثنائية تقيد انطلاقها ، وتحرم المواطنين من حقهم في تكوين الأحزاب المعبرة عن مصالحهم . ممكن كما نرى تقديم الكثير للوطن والمواطن بدون إضافة أعباء جديدة للميزانية ، وفي نطاق الواجب اليومي المفروض أن يؤدي بدون جزاء أو شكر ، عند ذلك نعى المواطن من آلام لا حصر لها ، وبحسبه تحمّل الصبر الطويل في ليل العبور الشديد .

١٩٨٦ / ٩ / ٢٥

تعليقاً على وجهة نظر (٢٥ / ٩ / ٨٦) التي تطالب بحسن المعاملة للناس في مختلف المواقع أرسل إلى الدكتور عبد الحميد أبو السبع ، رئيس مجلس إدارة المركز الدولي للتنمية الريفية بمربوط رسالة تأييد ، عبرت بعمق عما يجيش به صدره من صدق وحماس . وعلى سبيل المثال الحى ترجم لى نصّ حوارٍ دار بينه وبين صديق إنجليزي وثيق الصلة بموضوعنا ، حدثه الصديق الإنجليزي عن بعض ذكريات أول يوم له في خدمة الحكومة كموظف ، وكيف استدعاه رئيسه المباشر ليدور بينهما الحوار الآتي :

المدير - إنك موظف بدءاً من هذه الساعة ، فهل تعرف ماذا يعني ذلك؟

الموظف - إنه يعني أنني موظف .

المدير - كلا ، إنه يعني أنك خادمٌ مدنيٌّ ، فهل تعرف ماذا يعني ذلك؟

الموظف - إنه يعني أنني خادم مدني !

المدير - كلا ، إنه يعني أن تضع نفسك في خدمة كل من يقصد هذه الحجرة من الجمهور .

لَعَلَّ البشرية في تاريخها كله لم تكابد ما يكابده هذا الجيل من قلق ووساوس . . بقدر علمه ومعلوماته المتنامية اتسعت رؤيته لآفاق حاضره ومستقبله ، فهو يعرف ما يتهدده من آفات ، ما ظهر منها وما بطن ، ما حدث وما سوف يقع بعد عقد من الزمان أو بعد قرن ، يحصى عدد سكان كوكبه ، وما يفنى أو يبقى من مواده الأولية ، وما يتكاثف في جوه ، أو يترسب في مائه من تلوث ، وما يصلح لمعاشه من أرضه ، وما لا يصلح .

في العالم المتقدم الذى نزنو إليه بإعجاب وانبهار معاناة للبطالة ، وخوف من الإبادة ، ورعب من قُوَى كَشَفَ العلم عنها لا غِنَى عنها ، ولا أمانَ لها . وفي العالم المتأخر يتمطى التخلف والمرض ، وتهيم أشباح الديون والإفلاس والفساد ، وتكشر عن أنيابها المجاعة والحروب . صورة في شموها كثيبة ، تلتطخها ألوان كريهة لسليبات التقدم والتخلف معاً ، وتتزامن في فترة تعاونت فيها أسباب التقدم المذهل في المواصلات ووسائل الإعلام على التقريب بين أطراف العالم ، شماله وجنوبه ، شرقه وغربه ، حتى توشك أن تجعل منه وحدة في المكان والزمان ، ينفعل بنشاط اقتصادى واحد ، وثقافة سائدة ، وقيم متقاربة . يتلقى الجديد

هذا هو أول درس تلقاه الموظف الجديد من رئيسه المباشر ، وهو درس يجب أن يعيه كل موظف عند بدء خدمته ، وأن يرسخ في نفسه وهو يتدرج من درجة إلى درجة حتى يبلغ قمة مسيرته ، فجميع الموظفين قد بوأهم نظام العمل وظائفهم لخدمة الشعب ، والشعب بداية ونهاية هو الذى يستخدمهم ويمنحهم مرتباتهم من كدحه وكَدِّه ، وانعكاس الآية دليل على فساد الإدارة واختلال ميزان القيم . وهيئات أن تتهيا لنا إدارة حقيقية إن لم تنهض على أساس مفهومها الصحيح لتؤدى رسالتها الصحيحة .

١٩٨٦ / ١٢ / ٢٥

ينعقد المؤتمر الإسلامي في شبه جزيرة تحيط بها دماء المسلمين التي تنزف بغزارة جنونية في إيران ، والعراق ، ولبنان ، وليبيا ، ولعل انعقاده في هذه الآونة جاء تلبية لنداء ضميره المعذب من ناحية ، والصحوة الشاملة التي انبعثت في أطرافه من ناحية أخرى .

فأول ما يرجى منه أن يلتمس الوسيلة إلى إيقاف نزيف الدم ونشر ألوية السلام ، وهى مهمة صعبة ، وأمل عزيز المنال ، ولكن لاغاية تتأبى أمام الإرادة الشاملة إذا ساندتها النوايا الطيبة ، وأضاء سبيلها نور اليقين .

وعليه بعد ذلك أن يشمل جوارحه التي مزقتها المحن بنظرة كلية أخوية ليرى ما تتفق فيه من أصول العقيدة والرؤية ، ليؤكد على الإخاء والتعاون والبر ، لينفى عن جوهرها أسباب الخلاف الزائلة المفتعلة ، ليجعل من ذلك سبيلا إلى تحرر عالمه الضخم من التبعية والتخلف ، وتحطيم القيود التي يرسف فيها ، معتمداً في ذلك على استثمار وحدته الثقافية ، وإحياء التبادل الاقتصادي بين بلدانه ، كى يواجه العصر مواجهة قوى متفتح برىء من العقد ، معترًا بتضامنه وأصالته وحرية وعقله واجتهاده ، فيؤدى دوراً كريماً جديراً بتاريخه المعروف في الأخذ والعطاء والمرونة والتسامح .

في كل آن ، فيتأثر به قبل أن يهضمه ، ويحافظ على توازنه بجهد يائس ، ويخاف على ذاته الضياع .

هذا العالم الجديد يحتاج في التعامل معه إلى رؤية جديدة ، رؤية شاملة تعتبره عالماً واحداً متحد المصالح ، متفق المصير ، إن فسد فيه عضو تداعت له سائر الأعضاء . ولكن الأقوياء مازالوا سادرين في سياستهم التقليدية القائمة على الاستغلال والأناية . العالم في أمس الحاجة إلى زعامات رشيدة بعيدة النظر ، متسامية على الغرض ، يحركها حب كبير يتخطى الحدود والقيم البالية . إنه الطوفان من جديد يهدد الجميع بلا تفرقة ، من في القاع ، ومن فوق التلال ، ومن يعتلى القمم ، ولا نجاة منه إلا بالإيمان بالإنسان والإنسانية ، وقهر الضيق والإنانية .

١٩٨٧ / ١ / ١٥

الإسان صانع الحضارة

وعليه بعد ذلك أن يوجه خطابًا للعالم الذى ترهقه أزمات كثيرة من منطلق رسالته الموجهه للناس جميعًا بشيرًا ونذيرًا ، عارضًا كنوز حكمته ، وأدوية علاجه ، ورؤيته الإنسانية الشاملة التى كرسته زحمة للعالمين .

قد تتحدى شراسة الواقع طبيات النوايا ، ولكننا نؤمن بأن مجرد اجتماعه فى الظروف الراهنة توفيق عاجل ونصر مؤجّل ، وأنه تعبير عمّا تضطرم به الجوانح من رغبته فى الإخاء والتحرير والتقدم والعمل الصالح .

١٩٨٧ / ١ / ٢٢

نحن فى حاجة إلى المال ، والمال الكثير ، كى نصلح حالنا ، ونقيم بناءً هياكلنا الأساسية : الإنتاج ، والخدمات ، كل أولئك فى حاجة إلى المال للإنشاء ، أو التجديد ، أو الترميم ، أو التوسع . ولكن إلقاء نظرة سريعة تكفى لإقناعنا بأن المال ليس وحده ما ينقصنا ، وأنا فى حاجة إلى الإنسان بنفس الدرجة أو أكثر . يلزمنا إنسان يلتزم بالمصلحة العامة بأمانة وإخلاص ونزاهة . قد تقوم نهضة بهذا الإنسان مع مال محدود ، ولكن المال الوفير يعجز عن تحقيق أهدافه بغير هذا الإنسان . الإنسان المتهرىء ينهب المال أو يهدره ، أو يضيعه بالإهمال أو الكسل ، وهو فى شغل عن واجبه بالانحصر فى ذاته ، والاستغراق فى شهواته .

فالأزمة هى قبل كل شىء أزمة أخلاقية ، ثمرة مرّة للقهر الخارجى ، والقهر الداخلى ، والظلم ، والامتيازات ، والعبث بحقوق الإنسان ، والفقر ، والجهل ، والمرض . لقد أسىء إليه طويلا ، والآن يرد الإهمال بالإهمال ، والإساءة بالإساءة ، فى عملية استهتار أشبه بالانتحار . ولا جدوى من أى تخطيط إن لم نضع فى مقدمته العناية المركزة بالإنسان ، فى تعليمه وثقافته وصحته ومعاملته ونظام حكمه . يجب أن ننقى جوه من جميع الآفات ليسترد صحته النفسية والروحية ، ويستعيد فتوته ، وعند ذاك يوجد الأساس المكين لكل تقدم أو نهضة ، ويمكن أن نواجه

كلمة إلى الحائرين

تصرح الحكومة مرارًا وتكرارًا بأنه لم تتسرب إلى البلاد أى أغذية ملوثة، وأنها اتخذت للأمر عُدته كما ينبغي لها ، فى أعقاب احتراق المفاعل الذرى . وتردد المعارضة من ناحية أخرى أنباء تبلغها عن تسرب شحنات ملوثة ، وعن عدم كفاءة أجهزة الكشف ، ونحن بينها حائرون قلقون ، وتحق لنا الحيرة والقلق لخطورة العواقب وتهديدها للأرواح بدرجة شمولية تهون إلى جانبها أكبر الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية ، والأدهى من ذلك أن معرفة الحقيقة لا تحقق فائدة فيما يتعلق بالنتائج العملية ، فحتى لو تبين لنا صدقُ الأنباء السوداء فنحن لا نملك وسيلة طيبة للتخفيف من الإصابة ، ناهيك عن الإبراء منها .

غاية ما تنجزه فى تلك الحال أن تهدينا إلى المجرم ، وتحدد المسؤولية العامة ، ومع ذلك فهو فرض واجب وضرورة محتومة ، غير أن الجريمة أكبر من أى عقاب ، ولن يعوضنا إعدام مجرم ، أو استقالة حكومة بأسرها عن جزء يسير من الخسائر المتوقعة .

والحق أنى أقنعت نفسى أخيراً بتصديق الحكومة ، لا تلهفًا على الطمأنينة بأى ثمن ، وإعفاء النفس من قلق لا يجدى ، ولكن - أيضًا - لأننى لا أتصور أن يعلم العالم بخطورة احتراق المفاعل ، وأن ترد الأنباء

التحديات بالإرادة البشرية القادرة على قهرها وتذليلها ، وإبداع المفيد والجميل فى شتى المجالات ، من علم وثقافة وسياسة وقيم ، فيصنع بطاقته وحماسه الرخاء ، وما هو أهم من الرخاء ، وهو المجد .

ولعله من التواكل أن نترك هذه المهمة للدولة وحدها ، فما زال الأمل معقودًا بالقللة المبرأة من الفساد ، وقادة الرأى من المثقفين والمخلصين من الأحزاب ، فهم فى مقدمة من يجب أن يهبوا لبث الروح وبعث الهمم فى الشباب ، وتزويده بالرأى والعزيمة ليحطم أغلاله ، ويقهر سلبيته ، فينقذ ذاته ، وينقذ مجتمعه ، ويخلق من الموت حياة جديدة .

١٩٨٧ / ٢ / ٥

قيل عن الفتنة وحوها كلام كثير صادق وحكيم ، وأشَارَتْ أصابع الاتهام إلى الحكم المطلق ، والأزمة الاقتصادية ، والتيارات المنحرفة ، والمكائد الخارجية . ولست أنكر قولاً ولا اتهاماً ، ولا أقل من شأن نصيحة أو علاج ، والله أسأل لنا الاستقامة في جميع ما نقول ونفعل ، ولكنى أرى أصل الداء كله فيها وراء ذلك ، أعبر عنه بكلمة واحدة هي « المعاملة » . فالوحدة الوطنية شعار بلا مضمون إذا لم تقم على الاحترام الكامل لحقوق الإنسان ، إذا شابها تفرقة في المعاملة ظلمة ، إذا قسمت المواطنين إلى فئة من الدرجة الأولى وأخرى من الدرجة الثانية . حق المواطن في أن يؤدي وظيفته ويخدم أمته في نطاق إمكانياته وأخلاقه لا يقل قداسة عن حقه في ممارسة شعائره الدينية ، من أجل ذلك يجب أن يشير أصبع التنبيه إلى الدولة ، بوصفها المسؤولة عن إقامة ميزان العدل والمساواة بين أبنائها .

وأقول : إن المعاملة العادلة كفيلة وحدها باحتواء جميع الأزمات والتوترات ، على حين أن التفرقة باعثة على الغربة والقلق وعدم الاستقرار، ولو اختلفت جميع الأسباب الأخرى ، ولعل السبب الحقيقي في التفرقة لا يرجع إلى التعصب كما يبدو ، ولكنه يرجع في الحقيقة إلى الإدارة الفاسدة التي تركز الوساطة والمحاباة ، ورعاية أهل الثقة ، وهي

بمقاطعة دول كثيرة لَوَارِدَاتِ المواقع المشبوهة ، ونقف نحن من ذلك كله موقف المتفرج أو المتراخي ، أو نُشغَل عن الأحداث المقتحمة بهمومنا اليومية .

لا أستطيع أن أتصور ذلك أبداً ، فلا بد أن الأمر حَظِيَ بأكبر قَدْرٍ من الاهتمام ، وأن الموقف درس من جميع نواحيه ، وأن قرارات حاسمة اتخذت لحماية أرواح الملايين . بذلك تكون الحكومة قد أدت واجبها ، وهو واجب بديهي وأولى ، لا يستحق أى شكر على كماله ، ولا يتصور أى تراخ فيه أو تسامح معه . من أجل ذلك قررت أن أصدق ، وأن أفوض أمرى إلى الله الرحمن الرحيم .

١٩٨٧ / ٣ / ١٢

الوجه الآخر للقمر

قرأتُ إحصاءً يؤكد أن الذين تؤهلهم أعمارهم للانتخاب ضعف المقيدون في الجداول ، وأن الذين أدوا واجبهم الانتخابي لا يزيدون على نصف المقيدون ، وهذا يعنى أن ثلاثة أرباع الناخبين قد امتنعوا عن أداء واجبهم الانتخابي ، فماذا تقول هذه الظاهرة ؟

ربما وجد بين الممتنعين من يرفض الاشتراك عن وعيٍ بما يفعل ، والتزام بما يرى ، إِمَّا لرفضه النظام ، أو يأسه من نزاهة الانتخابات . وبصرف النظر عن مناقشة رأيهم ، فلا يصح اعتبارهم من السلبيين ، وإن اتسم ظاهر موقفهم بالسلبية ، ولعله كان من الأفضل أن يذهبوا إلى صناديق الانتخاب ويسجلوا آراءهم الراضية . أما الآخرون - وأخشى أن يكونوا الأغلبية الساحقة - فهُم من نُطلق عليهم غير المباليين ، الذين لم تشغل لهم المعركة بالآ ، والذين تمر بهم الأحداث فلا تحظى منهم بالتفاته ، أو يقفون منها موقف المتفرج الساخر ، وكأنهم يعيشون في عالم خاص بلا مبادئ ، ولا أهداف تحت مستوى السياسة والوعى ، تحكمهم الأنانية ، وتستغرقهم هموم الذات ، ولك أن تفسر موقفهم بسوء التربية الوطنية ، أو بالآثار المدمرة للحكم الشمولى ، أو بإرهاق الأزمة الاقتصادية ، أو بكل أولئك جميعًا ، ولكنهم في جميع الأحوال قوة ممثلة للسلبية ، وإمكانيات مدخرة للانحراف ، وعوامل مُعدَّة للهدم

تظلم عند الإحصاء من المسلمين أضعاف أضعاف من تظلم من الأقباط ، ولكن يمكن تفسيرها في محيط غير المسلمين على أساس طائفى ، الوحدة ليست شعارًا ولا شعيرًا ولا ذكريات جميلة ، ولكنها قبل كل شىء وبعد كل شىء احترام حقيقى جاد لحقوق الإنسان . والسلام على من اتبع الهدى .

١٩٨٧ / ٤ / ١٢

الإرهاب والاستقرار

كلما وقعت جريمة إرهابية أعلننا بكل وسيلة أنها تنقض على استقرارنا، وبتكرار ذلك يرسخ في الأُنفس تأثير الإرهاب على الاستقرار، والنتيجة المحتومة لذلك أن يتعرض الاستقرار لخطر الإرهاب، فنحقق للعدو ما يرمى إليه بأيدينا وصراخنا . كلا يا سادة ، لا يستطيع الإرهاب صهما استفحل أن ينال من بناء الاستقرار الشامخ ، وما الإرهاب إلا جريمة من بين آلاف الجرائم التي تُرتكب كل عام ، غاية ما في الأمر أن السياسة تضيف عليه بريقًا خاصًا ، وهو قد يحدث فرقة أو يثير إثارة ، ولكنه أعجز من أن ينال من استقرار مجتمع مستقر ، فلنقاومه بكل الوسائل المشروعة ، ولكن لا يصح أن نهون من أثره أو نغالي في تقدير خطره .

لن يتوقف العمل لحظة ، ولن تتوقف التنمية لفرقة أو انفجار ، ولا يجوز أن نبكى الاستقرار أو نندبه . الاستقرار الذي تقلقه جريمة وهم لا استقرار ، الاستقرار حضارة ، الاستقرار سيادة قانون ، الاستقرار احترام لحقوق الإنسان ، الاستقرار عمل وإنتاج ، وطهارة ، وأمل لا يغيب ، وهو لا يهتز لجريمة ولا لسلسلة من الجرائم ، وقد اجتاحت غباره بلادًا تعد من أرقى بلاد الدنيا ، وبأساليب غاية في الوحشية والعنف ،

والتدمير ، وواجبنا أن ننتشلهم من جحورهم بأى وسيلة ، سواء بالتوعية ، أو بالإصلاح ، أو بالقدوة ، أو العمل السياسى المتواصل . إنه واجب الزعماء والقادة والمفكرين والمربين ومن يؤدون الخدمات العامة للشعب فى شتى المجالات ، وييدهم جميعًا أن يضموا تلك القوى المبعثرة إلى جانب البناء والتعمير .

١٩٨٧ / ٥ / ٢١

قرار حكيم عادل

فلا نال ذلك من استقرارها ، ولا أساء إلى سمعتها ، ولا صد السَّيَّاح عنها .

وستظل مصر هي مصر ، سواء في ظلال الأمن أو في حَمَاة الإرهاب . . . ولن يتوقف عمل أو تخور عزيمة أو تهون إرادة . ولن يتوقف الموت كذلك ، سواء جرى قدره فوق فراش أو على قارعة الطريق . وليفعل الله ما يشاء ، كيف شاء ، متى شاء .

١٩٨٧ / ٦ / ١٨

محاولة سد الثغرة بين الأسعار والمرتبات قرار حكيم عادل ، يحمّد للمسئولين عن وضع الميزانية الجديدة ، وهو في ظاهره ينتمى إلى بند الخدمات ، ولكن فعاليته تسرى في صميم العمل والإنتاج ، بل في روح العدالة والانضباط والأخلاق ، ومهما رفعتُ من قدره فإننى لا أتجاوز به ما يستحق ، لا بدافع من الرحمة والعدل معاً ، ولكن لأن إهماله قديماً لحساب أهداف أخرى مهمة ومُلحّة أو شكّ أن يقضى على الخطة جميعها بما أهدر لقيمة الإنسان الذى ينفذها ، فتركه في مواجهة الغلاء والتضخم بلا سِنْدٍ أو عون تحت رحمة وْحِش .

إنَّ معاناة ذوى الدخل المحدود هي المسئولة عن ضياع هيبة الحكومة، وتعطل القانون ، وعذابات الجماهير في قبضة الروتين والإهمال، والتسيب والانحراف والفساد ، وتخلخل الائتماء . إنها المسئولة عن الحيرة العامة التى نتخبط فيها ، وحتى إذا لم تنحصر المسئولية فيها وحدها ، فهي تأتى في مقدمة الأسباب . وإذا تحقّق العدل للعاملين أمكن أن يطالبوا حقاً بالجد والعمل والإنتاج والانضباط، وأمکن أن يُحاسبوا على الانحراف والإهمال والتسيب ، وأمکن أن تعود الإدارة إلى توازنها وفعاليتها ، وأن تسترد هيبتها ، وأن

لن نفهم ظاهرة التطرف الدينى الإرهابى إلا بالرجوع إلى التاريخ . ما يتردد اليوم من أنه نشأ كثمرة مُرَّةٍ للتعذيب فى السجون ، أو لما يُكابده الشباب من إحباط فى قبضة الأزمة الاقتصادية تفسير غير كافٍ ، وآية ذلك أنه وجد واستفحل قبل الأزمة ، كما أن تعذيب السجن كان نتيجة له وليس سبباً فيه ، وأقصى ما تفعله تلك العوامل أن تزيد مضاعفاته حِدَّةً . إنه قديم ومنذ العصور الأولى للإسلام ، ولا أُجاوز الحقيقة إذا قلتُ إنه ظاهرة لها ما يفسرها ، بل وما يبررها فى تاريخ الدولة الإسلامية نفسها ، فمنذ أخذت الدولة الإسلامية بأسباب الحضارة ، جامعة بين إيجابياتها وسلبياتها ، ومنذ أقبل المسلمون على الدنيا يكثرون من الأموال ، ويستسلمون للشهوات ، حصل رد فعل شديد فى نفوس طائفتين من الناس ، طائفة معتدلة راحت تدعو للتقوى والزهد والإعراض عن مغريات الحياة ، فكانت الأصل الأولى للتصوف الإسلامى ، وطائفة متطرفة كَفَّرَتِ الدولة والمجتمع ، وسلت السيف لتغيير نظام الحكم من أساسه . وواكبت تلك الحركات التاريخ الإسلامى حتى ظهور الوهابية والسنوسية والمهدية ، وأخيراً الإختران المسلمين .

فالتطرف الدينى الإرهابى هو الوجه الآخر للانحلال والفساد ،

تقوم بدورها الفَعَال فى التنمية والأمن ، ونشر العدل والعدالة ، وتحقيق الاستقرار الحقيقى للفرد والمجتمع كى يقاوم تلك الحوادث مهما فظعت ، ويكافح التخلف وإن استشرى ، وأهم من ذلك أن يحوز ثقة الشعب ، فيستجيب الشعب لُقُدوته بالتأييد والإخلاص والعمل الصالح . حقاً إنه لقرار خطير ، والمأمول منه كبير .

١٩٧٧ / ٦ / ٢٥

وهدفه تطهير المجتمع وإعادة التوازن إليه ، وكان يلجأ قديماً للعنف لأنه لم تكن ثمة وسيلة للمعارضة سواه ، أما اليوم فلا مبرر له إطلاقاً على عصر الحرية وتعدد الأحزاب ، وخاصة بعد أن شق الصوت الإسلامى طريقه إلى مجلس الشعب ، ولكن يبدو أن الظاهرة تحتاج إلى حلول جديدة ، اجتماعية وسياسية وأمنية .

أما الاجتماعية فتقتضى التصدى بكل جديدة لجميع مظاهر الفساد فى الإدارة والحياة العامة ، وأما السياسية فيجب أن يحظى الناس بحق تكوين الأحزاب ، وإنشاء الصحف بدون قيد أو شرط .

فإذا أصر قوم بعد ذلك على استعمال العنف فلن يعنى هذا إلا أنهم أهل عنف وإرهاب ، يرومون التسلط على العباد بالقوة والخوف ، فلا يملك المجتمع فى تلك الحال إلا التصدى لهم بكل عزم وحزم دفاعاً عن حريته وكرامته .

١٩٨٧ / ٩ / ٣١

ما أكثر الحديث عن « مشروع قومى » يلتف الجميع من حوله ، لعل أنسب عنوان له هو « النهضة » ، الذى يُطلق شعاراً للعمل فى الفترة القادمة . . ولا أعتقد أنه يوجد فرد واحد فى أى حزب ، أو مواطن واحد سليم النفس فى الشعب كله لا يتطلع إلى نهضة حقيقية شاملة للجميع أوجه النشاط فى وطننا من إنتاج وخدمات ، حول هذا يتفقون بلا جدال ، ولكن حوله أيضاً يختلفون فى الوسائل والأهداف ، وإلا ما انقسموا إلى أحزاب وتفرقوا فى المناهج والبرامج . ولا بديل لهذا التصور فى وقت السلم إلا أن يكون دعوى للحزب الواحد وحينئذ لعهد .

النهضة هى تحديث الأمة ، وترشيد الإنتاج والخدمات ، ومواجهة تحديات الديون والسلبيات ، والتصدى للانحراف والانحلال والإرهاب ، وشق طريق أمنٍ وسط عواصف السياسة الخارجية ، كل أولئك يحتاج إلى عمل جاد متواصل من الحكومة ، كما يحتاج إلى معارضة أمينة يقظة من الأحزاب ، فلا بد من العمل ، ولا بد من المعارضة ، لا بد من التنفيذ ، ولا بد من المراقبة والنقد ، وتلك هى نعمة الديمقراطية والضمان الحقيقى للفعل السديد .

ولكى يتم ذلك على أكمل وجه فعلى المعارضة أن تلتزم بمبادئها بدون

إن ماتمَّ إنجازَه في الخطة الخمسية الحالية يدل على أن جهداً ضخماً قد بُذِلَ ، وعلى أننا نتصدى للحال المتردية بعزيمة مصممة على تجاوز الأزمة، والانتقال إلى فترة انطلاق . ولكن لماذا يبدو أن الفرد من الجمهور المطحون لا يشعر بثمره ذلك العمل ؟ لماذا يُطالَع الأرقام بعين الحيرة والريبة ؟ . المسألة أن الفرد لا يعترف بالعمل إلا إذا جنى شيئاً من ثمرته ، وشارف الأمان حقاً على رزقه وحياته وحرية ، وتلك غاية بعيدة المنال بعض الشيء ، وهيهات أن تتيسر قبل خطتين أو أكثر ، لا نتيجة لإهمالٍ أو تراخٍ - وهما غير منكورين - ولكن أساساً بسبب فداحة الحال المتردية التي بدأ العمل منها .

بدأ العمل الجديد من نقطة انهيار شمل كل شيء ، من الهياكل الأساسية إلى الصناعة والزراعة ، وحتى بناء الإنسان نفسه ، فأى جهد يُبذل فإنها يُبذل لتخفيف قبضة السوء حول الأعناق ، أو تقويم معوج اضطرتنا الأخطاء إلى تأجيله أو إهماله ، على حين أن الحياة تتقدم ، والناس يتكاثرون ، والمطالب تتعدد ، والمرارة تحتدم . إن الموقف يجب أن يُسَطَّ أمام الناس بالصدق والصراحة ، والعمل يجب أن يتضاعف ، والسلبيات يجب أن تُحَارَبَ بلا هوادة ، والانضباط يجب أن يكون كاملاً ، والقدوة الحسنة بيئة واضحة .

تردد أو مجاملة ، مع الحرص على الجدية والموضوعية ، وعلى الحكومة أن تخدم النقد وتوسع صدرها له بلا حدود ، وأن تُشرك المعارضة في لجانها ومؤتمراتها ، وأن تُطلق لها حرية التعبير في مجلس الشعب بلا حرج . المعارضة دواء مر ، ولكنه دواء ناجع ، وعلينا أن نتخلص من العادات السيئة التي اكتسبناها على عهد الحكم المطلق ، وليكن طريقنا إلى الصواب هو الرأي والرأي الآخر ، في نطاق الحرية والرقابة الشعبية والكرامة الإنسانية .

١٩٨٧ / ١١ / ١٣

الحرب فى جبهتين

فى الخارج من حولنا حروب تضطرم مُصرّة على الاستمرار والتوسع ،
وأساطيل تتجمع وتتحدى ، وأحقاد تتوغل وتستشرى ، وعلاقات
تتمزق بلا رحمة ، وبلايين تتبدد فى جحيم الشيطان ، مخيبة آمال
الصابرين المتطلعين إلى البناء والحضارة .

وفى الداخل معركة من نوع آخر تنشب بين الخراب وال عمران ، وهمّة
تُبذل لتجديد حياتنا الراكدة ، مركزة على التعليم والإنتاج والإدارة ،
ومستهدفة فى النهاية إعادة بناء الإنسان وإنقاذه من الضياع واليأس .
ويقود الرجال هذه المعركة الداخلية وهم يخوضون فى الوقت نفسه أمواجًا
عاتية من الفساد والانحلال ، تكاد من كثرتها وتكرارها تصبح سلوكًا
يوميًا لا يلفت نظرًا أو يثير دهشة ، حتى لو توجت الجريمة بهرب المجرم
آمنًا تحت سمع الرأى العام وبصره ، وحتى لو حرضت الشباب على
رفض الحياة أو تكفيرها . غير أننا لم نفقد الأمل ، ومازلنا نأمل أن ينتصر
العاملون على آفة عوامل الفناء والهزيمة . ولكن هل ترى أننا فى حاجة
إلى مَنْ يذكرنا بما أهوى بوطننا إلى وَهْدَةِ الشقاء ؟ أنحن فى حاجة إلى مَنْ
يُذكرنا بعواقب الاستيراد ، وخداع الطموح المتطرف ، وعبث المغامرات
الطائشة ، وخطورة التعلق بأهداب مشروعات قومية بدون امتلاك القوة
اللازمة لتحقيقها ؟

يجب أن يفعل الحُكم كل ما من شأنه أن يقنع الناس بجديته
وإخلاصه واستقامته ، وأن يهيب لهم فرص المشاركة فى العمل ،
ليطالبهم بعد ذلك بالصبر والتحمل ، ويحثهم على تغيير الواقع
والانتصار عليه . وما ينبغى أن ننسى أن كثيرين يتربصون بنا ،
ويتابعون معاناتنا بعين الطمع والاستغلال ، أملًا فى استقطاب المعذيين
والانحراف بهم إلى أهدافهم ، فنحن نحارب التخلف والمعاناة والنيات
السيئة المحدقة بنا ، وعلينا أن نكتسحها جميعًا .

١٩٨٧ / ١١ / ١٩

لا أعتقد أن إنساناً في حاجة إلى تذكير ، وكيف ذلك ونحن مازلنا ندفع ثمن التهور والأخطاء ، بل أوشكنا أن نعجز عن دفعه ؟

المطلوب منا اليوم بالنسبة للخارج سياسة رشيدة تحمي السفينة وسط العواطف والأعاصير ، سياسة تنبع من مصالحنا الحقيقية ، وتراعى أحوالنا وظروفنا ، وتستند إلى الواقع وأحكامه . ومطلوب منا في الداخل العمل ، والإصرار على العمل ، والاستمرار في العمل ، وفتح الأبواب للشعب للمشاركة الفعّالة للفكر السديد ، والعمل الصالح ، وسيادة القانون ، لنستحق النجاة والحياة الكريمة .

١٩٨٧ / ١٢ / ١٧

يحدثنا بعض من أهل الخبرة ونجوم الإعلام عن البلايين المهربة في الخارج ، وتكرر الحديث حتى صبح لنا أن نميل إلى تصديقه . . أموال فلكية الأرقام ، وتعتبر من ناحية الوطن ضائعة ، وأصحابها يعيشون بيننا غرباء ، قلوبهم وآمالهم هائمة في الخارج ، ولدى أول بادرة تذرهم بما يسوء يرحلون إلى الأبد ، وكأنهم ماكانوا .

وجزاء من تلك الأموال يستطيع أن يصنع المعجزات في انتشال الوطن من مأزقه ، والانطلاق بالتنمية الشاملة إلى آفاقها المنشودة ، وطبعاً لا جدوى هنا من استعمال لغة الضمير أو الوطنية ، كما يبدو أن يد القانون لا تطولهم ، ولكن ألا يمكن تجربة لغة المصلحة المتبادلة ؟ بمعنى - مثلاً - أن نقترح عليهم أن يستوردوا احتياجاتنا الضرورية للحياة ، والتنمية ببعض ما لهم ، ويكون لهم المال وأرباحه ، ليستثمروه بعد ذلك في الخطة الموضوعية ، مع الانتفاع بكافة التسهيلات والامتيازات الممنوحة ، بالإضافة إلى الإقرار بفضلهم فيما يقدمون من خدمات ، وذلك يعني أننا أنقذنا بعض المال الضائع واستخدمناه في خير وجهه ، كما يعني أننا أرجعنا أناساً ضائعين إلى حظيرة الوطن ، بل إلى أعز مكان فيه .

إنَّ مَنْ يتحدثون عن الأموال المهربة يتحدثون عنها بثقة مَنْ يعرف

خريطة الشباب

أصحابها فردًا فردًا ، فلماذا لا نفاوضهم وندعوهم إلى المشاركة الوطنية ، وبخاصة أننا لا نُحملهم أى تضحية ، بل على العكس ، نهىء لهم فرصة لمضاعفة الأرباح والانتفاء الوطنى ؟ إنها فكرة إنسان أرهقه التفكير فى حال الوطن ومصيره ، وعسى ألا تكون فكرة خيالية .

١٩٨٨ / ١ / ١٤

الشباب الذى يبشر بخلق أمة ناهضة يتَّسم بمواصفات أساسية لا غنى عنها . إنه يؤمن بهدف كبير فى العصر الذى يعيش فيه ، وبالتالى يتطلع إلى دور شخصى يناسبه فى نطاق ذلك الهدف ، ويكتسب من هذا وذاك انتفاءً صادقًا ، وضميرًا اجتماعيًا يقظًا ، وعزيمة وأملًا وإصرارًا يستعين بها فى شق طريقه فى أطوار التعليم والعمل ، فكيف نرى خريطة شبابنا على ضوء تلك المواصفات ؟

يوجد ولاشك شباب يعرفون لذواتهم أهدافًا شخصية تحوم حول الوظائف الممتازة والمهن الرفيعة ، ولا يحول بينهم وبينها حائل ، وهم أبناء الصفوة القادرة ، وإن خالطت حياتهم سلبيات فهى سلبيات المال والفراغ ، ونادرًا ما تتجاوز اهتماماتهم الذات وما يدور حولها ، وتمضى حياتهم بلا سدود أو إحباطات اجتماعية .

ويوجد آخرون - ولعلمهم الكثرة - يتخبطون فى طُرقات غاصَّة بالأشواك ، تعليمهم ناقص ، وأبواب العمل فى وجوههم ضيقة عسيرة ، ومرتبات العامل منهم غير كافية وعاجزة عن إشباع احتياجاتهم الأساسية من المأوى والزواج وتحقيق الذات ، وهم يعيشون فى وجوم وسوء ظن ، بلا انتفاء أو مشاركة فى الحياة العامة ، ولو بالقلب ، رافضين لما حولهم ، حالمين بالهجرة ، فى ظل تهديد دائم بالانحراف .

نحو تضامن قومي

أمتنا العريقة العزيزة تخوض أيام شدة ، ما في ذلك من شك . وعلى رغم الجهد المبذول ، وبشائر التقدم التي تومض هنا وهناك ، فإن قبضة الأزمة الخانقة تشتد حول الرقاب في أهم ضرورات الحياة ، كالغذاء والدواء والمسكن والعمل ، بالإضافة إلى ما يحمله المستقبل من نُدُرٍ خطيرة عن ماء الحياة ونورها .

جميع هذه الظروف تدعو إلى التضامن القومي في ظل نظامنا الديمقراطي ، وما تُنادى به من سيادة القانون ، وإن يكن التضامن واجباً في أوقات الحرب ، فما نعانى كل يوم ، وما يُطل علينا من الغد ، مثل الحرب أو أشد . ولا يخفى على أحد ما لهذا التضامن من فوائد ، فهو يوسع دائرة الاختيار لانتخاب الرجل المناسب في المكان المناسب ، وهو ييسر لكل رأى بناء بلوغ الأذان والقلوب بدون جرح أو مرارة ، وهو يضيف على الحوار صدقاً وإخلاصاً ، وينقيه من شوائب الذاتية وعدم المسؤولية . وهو أخيراً يشجع على اتخاذ القرارات الصعبة بدون خوف من عواقب مصطنعة ، فضلاً عن أنه يُنزلنا المنزلة اللاتمة بالرجال الصادقين في المواقف الحاسمة .

وكخطوة تمهيدية لذلك يجب أن نبدأ بإلغاء قانون الأحزاب - وهو

وهناك شباب يعرف لنفسه هدفاً ، ويتمتع بالانتماء والإيجابية والإيمان ، فيه تتجلى المواصفات الأساسية للشباب الناهض ، ولكن من المؤسف أن يخالط فكره تطرّف يشذ به عن القصد ، وقد يتأدى بعض منه في تطرّفه فيتخطى القانون ويسفك الدماء .

ولذلك تلح المصلحة العليا على بذل المستحيل لإرجاع هذه الفئة إلى حظيرة القانون والشورى والموعظة الحسنة ، ليدخلوها - بكل ما يحظون به من إيمان وإيجابية وانتماء - إلى هدفٍ أُسمّى ، فيكون حجر الأساس لبناء نهضة ، وسياجٍ دفاعٍ للأمة حيال التدهور والفساد .

ونحن لنا دينٌ يقُدس العلم والعمل ، وحقوق الإنسان والوطن . وتوفيقنا في ذلك خليق بأن ينقذ الفئة الأولى من أنانيتها ، كما يخرج الثانية من حيرتها ، والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل .

١٩٨٨ / ٢ / ١١

أضعف الإيمان في مجال الإصلاح السياسي المرجو - احترامًا لحقوق الإنسان ، وإطلاقًا لحرية المواطنين في تكوين ما يشاءون من أحزاب . وما الإنكار القانوني لحزب قائم في الواقع إلا مهزلة اجتماعية ، فالقانون قد يعترض تدفق الواقع أو يجمده إلى حين ، ولكنه لا يلغيه .

كذلك فإن من العبث أن نفكر في تضامن قومي ونحن نتجاهل مواطنين لهم وزنهم الفكري والوطني ، كالجماعات الإسلامية ، والناصرين ، والماركسيين ، وغيرهم . وبصفة عامه إذا أردنا تضامنًا قوميًا فعليًا أن نفكر تفكيرًا قوميًا .

١٩٨٨ / ٣ / ٣١

المواطن الصالح غائب إلا فيما ندر ، لا أفرق في ذلك بين من ينتمون للشعب ومن ينتمون للسلطة ، فالناس في مجتمع واحد وزمن واحد وحادٍ وحادّة خاصة ، ولكنهم يشتركون في حضارة واحدة بصفة عامة ، فمن عيوبنا البارزة اليوم التي لا تخفى على أحد ، السلبية ، وضعف الانتماء ، والنفاق ، وذبول النزاهة .

الجمهور يتفرج ولا يبالي ، حتى حق الانتخاب لا يتجشم مشواره القصير ، ولا يكاد يهمنه من وطنه إلا نفسه أو أسرته ، ويتخذ من النفاق وسيلة للسلامة وبلوغ المقاصد ، ويتناسى الإخلاص في العمل ، فالغش البسيط سلوكه اليومي ، ولا يتورع عن الغش المركب ، فيحاول استيراد أغذية ملوثة بالإشعاع ، أو يوزع أطعمة فاسدة ، أو يؤجر عمارة لا تلبث أن تنقض على ساكنيها .

وأيضًا للمتمتمين إلى السلطة سلبيتهم ، فعادة لا ينضبون إلا حين وقوع الكارثة أو حضورها ، وهم ينافقون من فوقهم كما ينافقهم من تحتهم ، وقد يرتشون أو يقبضون العمولات ، أو يتاجرون بأقوات الشعب ، ويتحركون وكأنهم أسياد الشعب لا خدّامه وأجراؤه ، ويشبون فوق القانون وهم يتغنون بسيادته ، ويعدون خير الوطن من أرض ووظائف وقفًا عليهم وعلى أبنائهم وذويهم ومماليكهم .

كيف تفشت الأخلاق الرديئة؟ حسبي أن أركز على سببين جوهريين تعاونوا على غزو أمتنا الطيبة العريقة مثل داء الإيدز فأفقدناها أصول مناعتها ، وهما : نظام حكم قام على الاستبداد والتهر ، وأزمة اقتصادية خانقة تهز الاستقرار النفسى والأمان الاجتماعى ، ولن أطيل فى تفصيل آثارهما الوبيلة ، فقد خبرناهما كما يخبر المريض الذى أُلصِقَ به أعراض المرض ، مثل ارتفاع الحرارة ، والغثيان ، والصداع ، والآلام المبرحة .

إنه حالٌ يُفْرِغُ المواطنَ من شجاعته وسروره بالحياة ، ويُحيطه بالخوف وسوء الظن ، ويدفعه إلى مُدَاهِمَةِ الحاكم ، بتقديم قرايين النفاق والكذب والخداع ، وانفصام الشخصية ، ثم يُسْقِطُهُ فى الصمت والسلبية وعدم الانتماء ، والانحصار فى لقمة العيش ، مع الاستعداد للانحراف ، والإعراض عن التقاليد الكريمة ، وقد تثور الأعصاب فيقتل أو يغتصب ، وقد تُسَدُّ المنافذ فيدمن المخدرات أو ينتحر .

أما الذين يبارسون الاستبداد فمع الزمن يتعالون ويستكبرون ، وتقسو قلوبهم فلا يتورعون عن التنكيل بالضحايا بالإيذاء والتعذيب ، هازئين بكل قيمة ، وفى مقدمتها حقوق الإنسان والإخوة الوطنية ، ثم يعميهم الجشع بالتهب والسلب والعدوان وتخطى العُرْفَ والتقاليد والقانون .

صورة كئيبة ، ولكنها صادقة بصفة عامة ، ولن يغيرها قلة صادقة عاملة مجتهدة ، ولو أن ما حَلَّ بنا هو من صميم طبيعتنا لوجب أن نفنى أو نتنحر ، ولكنها حال من ظلماتها منتصرة قوية قاهرة . فأنا أصف واقعًا بغيضًا ولا أدعو لليأس ، ولكن يحسن بنا أن نتذكر ما أطاح بنا إلى الهاوية ، وأن نتساءل عما يُخرجنا منها .

١٩٨٨ / ٤ / ١٤

حول التربية الدينية

تلقينا في طفولتنا وصبانا تربية دينية شاملة . درسنا الفرائض والأخلاق ، حفظنا ماتيسر من السور ، وألمنا بالسيرة النبوية وجانب من تاريخ الإسلام .

من المسلم به أن التربية الدينية يجب أن تشمل ذلك كله ، ولكن يجب أيضا أن نضيف إليها بوعى وتركيز أغراضا جديدة ، تُعدُّ من ناحية من صميم روح العصر ، كما أنها مستمدة من مضمون الدين بلا تكلف من ناحية أخرى . من ذلك أن نربي الناشئة على حُب العلم والمعرفة وتبجيل العلم والعلماء ، وسنجد لتأييد ذلك مانشاء من سند في القرآن والحديث ، وأن نوجههم إلى تقديس العمل والإخلاص فيه ، والتفانى في تنفيذه لخير الفرد والجماعة ، وسوف يمدنا الدين بما نشاء من آيات وأحاديث وحكايات مؤثرة ، وأن نُشرب قلوبهم حب الحرية والديمقراطية ، وندربهم عليها بالحوار والتزام العقل ، منطلقين من الشورى ومواقف مشهودة في تاريخ الرسول والخلفاء الراشدين ، وأن نملا قلوبهم بحب العدالة الاجتماعية ، انطلاقاً من مبدأ التضامن البشرى ، والمساواة ، وحكمة الزكاة . ولندكرهم دائماً وأبداً بتقديس حقوق الإنسان ومغزاها في التاريخ الإسلامى ، لنجعل من ذلك أساساً متيناً للوحدة الوطنية والإخوة البشرية .

هذا ما فعله بنا الاستبداد والأزمة ، سلط بعضنا على بعض ، ثم سلطنا على أنفسنا .

ولا شك أن العلاج قد بدأ في الفترة الأخيرة بالتوجه النهائى نحو الديمقراطية ، والحث المتواصل على العمل والإنتاج ، والمحاولة الدائبة لاحتواء الأزمة .

ولكن لا مفر من خطوة جديدة حاسمة كى يكون لهذا الليل آخر .

١٩٨٨ / ٤ / ٢١

إن الفرد الذى ينشأ على تقديس هذه المبادئ - تقديسه للتوحيد ،
والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج - هُوَ فرد جدير بالحياة فى دنيانا ،
مؤهل لذلك خير تأهيل بما تلقنه من قيم روحية ومادية ، جدير بأن
يشارك فى العصر معتمداً على نخبة من روحانياته ، ومتطهراً فى الوقت
نفسه من كثير من آفاته .

١٩٨٨ / ٥ / ٥

فى عام ١٩٨٦ تمت دراسة هامة شاملة فى المجالس القومية
المتخصصة لتناقص مياه النيل وعواقبها المتوقعة فى الزراعة والطاقة .
وصدرت توصيات بترشيد المياه والطاقة والسياسة الزراعية التى يجب أن
تتبع .

والمجالس القومية تعمل منذ إنشائها فى دأب مستمر ونشاط كريم ،
مستندة إلى خبرة أعضائها وحماسهم . وفى الفترة التى سمحت ظروفى
الخاصة بشهود جلساتها كنتُ أستمع بارتياح إلى ما يبلغه لنا الدكتور
محمد عبد القادر حاتم - المشرف العام على المجالس - عمَّا يُنفذ من
توصيات المجالس ، مما يقطع بأن جهدها لا يضيع بلا ثمرة .

وأود أن أعتقد أن التوصيات الخاصة بالنيل قد لقيت ما تستحقه من
عناية من جهة الاختصاص ، إن لم تكن قد سبقت إلى ذلك يقظة منها ،
واستجابةً لواجبها .

ومن حديث وزير الرى فى الأهرام ندرك أنه توثب لمواجهة التحدى
منذ وقت طويل ، مما يدعو للطمأنينة والثقة ، ولكن لُوَحظ أن مواجهة
جرت فى سرية ودون دعوة للجُمهور للإحاطة والمشاركة ، باعتباره
صاحب الشأن الأول فيما يكون . ولم يقف الأمر عند ذلك ، ولكن تجاوزته

إلى اتهام الأستاذ الكبير أحمد بهاء الدين بإثارة القلاقل عندما عَالَنَ الناسَ لأول مرة بمعلوماته عن الموضوع .

ولاشك أن هذا أسلوب من العمل مما ورثناه عن العهد الشمولى ،
ومما يجب أن نتحرر منه في عهدنا الديمقراطى . وستبث الأيام القادمة
صدق الجهد الذى بذل ، أمّا فيما يخصنا كشعب فعلىنا أن نكون على
مستوى المسئولية والتضامن ، وأن نقف فى وجه التحدى صفًا واحدًا
واعيًا ، وأن نكون عند حُسن الظن بنا كلما دعا الداعى إلى ذلك .

١٩٨٨ / ٥ / ١٩

الدين فى العصر الحديث

ثمة صحوة دينية شاملة لا يمكن إنكارها ، ولا يجوز تجاهلها ، وهى
ليست مقصورة على الجماعات الدينية ، ولكنها تسرى فى روح الأمة
جمعاء ، وإن تفاوتت درجاتها . وتلك حال يجب أن يتأملها المصلحون
والمخططون للمستقبل بعناية فائقة ، وعليهم أن يعتبروها قوة متاحة
وطاقة مدخرة تنتظر من يتعامل معها بحكمة ودراية ، ويوجهها الوجهة
الصحيحة السليمة لبعث الأمة من رقادها ، والسمو بها إلى ذروة نهضة
متينة الأساس ، قوية الأركان .

ومن نَعَمِ الله علينا أن ديننا دين دنيا كما أنه دين آخرة ، يدعو إلى
تعمير الأرض ، ويقدم العلم ، ويعد العمل عبادة ، فضلا عن أنه
رحمة للعالمين بما أعلن من حقوق للإنسان ، وما قرر من مساواة بين أهل
الديانات . وما عصرنا إلا عصر العلم والعمل وحقوق الإنسان ، فمن
الحكمة أن نجعل من الدين منطلق تربيته ونهضتنا ، وفى ذلك ما
يضمن خَلَقَ إنسان صالح يملك من مقومات الوجود ما يقتضيه الوجود
الإنسانى المستنير الشريف ، يزدهر تكوينه بالانتهاج والإيجابية ،
والاستقامة والاجتهاد ، وحب العلم والمعرفة ، وحب الإنسان .

ولا يفزعنا ما نلقى أحيانا من شباب منحرف الفكر أو السلوك ،
فلو أنه حُصِّنَ بالتربية السليمة التى لا ترعى إلا وجه الحق وحده بدون

بين الدين والدنيا

خوف من إنسان أو تملق لسلطة ، لكان الأساس الراسخ لهضة شاملة بإيمانه وإيجابيته وحماسه ، وقدرته على تحدى التحديات . . نحن نملك ثروة طائلة فلنستثمرها في الخير ، ولا نكن كالوارثين الفاسدين الذين يبددون ثرواتهم في الباطل .

١٩٨٨ / ٦ / ٩

كل حكومة هي حكومة دينية على نحو ما ، لا أعنى بذلك أن تكون السلطة بين رجال الدين ، أو بيد شخص يدعى لنفسه العصمة ، ، أو أنه ظلَّ الله على الأرض ، وغير ذلك من الأقنعة التي يتخفى تحتها الاستبداد ، ولكن من ناحية المضمون الأخلاقي الذي تلتزم به في معاملاتها وتشريعاتها . ذلك أن الدين من الناحية التاريخية هو المعلم الأخلاقي الأول للبشرية ، وأنه ما من حكومة إلا وتلتزم في دستورها وقوانينها بالسائد من الأخلاق والتقاليد والقيم ، ولذلك يمكن أن نعدّها حكومة دينية من ناحية المضمون ، حتى إن نَحَتِ الدِّينَ جانبًا أو نبذته نبذًا .

ومن هنا نجد في الدستور السوفيتي قيمًا دينية الأصل ، كالمساواة ، والعدالة ، كما نجد في عقوباتها ما يشبه الحدود أو ما هو أشد . أجل إنه عند التطبيق تحدث فجوة بين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن ، وقد يستشري الفساد فتتسع الفجوة حتى تطمس الصفة الدينية أمام الأعين ، وخاصة أعين المتطلعين إلى المثل الأعلى ، فيشتد بهم الغضب ، ويكفرون الجميع - دولةً وشعبًا - ويتخطون في غضبهم المألوف والقانون ، وينادون بحكومة دينية كوسيلة للتطهير والتقدم .

كيف يكون التفكير ؟ وكيف يكون السلوك ؟

إننا لا نفكر في فراغ ، ولا في رَغَد من العيش ، ولكن في غمار تحديات اقتصادية وسياسية وفكرية وكونية تجعل من حياتنا توترًا مستمرًا ، وخطرًا داهمًا ، وتطالبنا ببذل جميع ما نملك من حكمة وخبرة لنقرر مصيرنا نحو مستقبل حافل بكافة الاحتمالات . فعلينا جميعًا - شعبًا وأحزابًا ودولة - أن نستحضر الجو المحدق بنا كلما فكرنا أو عزمنا على إصدار قرار ، علينا أن نركز على المصلحة العامة ، وأن نتوخى السبيل إلى سلامة الوطن ، وأن نتجاوز عمًا تقتضيه منافسات الحياة المألوفة ، وما تثيره الخصومات المشروعة في الظروف العادية ، وما تغرى به المناورات الحزبية ، ففي زمن الخطر يجب أن يتغير التفكير والقرار ، وتتوجه النوايا نحو هدف واحد ، هو الخلاص ، مع كل ما يتطلبه من تضحية ونكران للذات . وهيهات - إن وقعت الواقعة - أن يهنا خصم باندحار خصمه ، أو يشمت مناضل بهزيمة غريمه .

قد تجد الحكومة نفسها في مركز القوة ، وترى أن تستأثر بكل شيء ، وأن تتهادى في الخصام والكبرياء .

وقد تجد المعارضة نفسها في مأزق ، فلا حرية في الحركة ، ولا ثمرة

والواقع أن الحكومة المنشودة قائمة بالفعل ، وإن توارى جوهرها تحت الأتربة المترامية ، وقد يعيدها إلى أصلها الإصلاح العميق الشامل الذى يعنى فى النهاية تضيق الفجوة أو سدها ، وإعادة النظر فى بعض الأمور، وتغيير بعض العناوين . وإذا نفذ ذلك بالحكمة والإدراك السليم وفهم روح الدين والاستجابة لمقتضيات العصر جاز لنا أن نأمل فى حياة جديدة فيها الخير كل الخير للناس أجمعين ، وعندنا من أهل الخبرة والاعتدال من يؤكدون ذلك ، وقد أعلنوا رأيهم مرارًا وتكرارًا ، وهو أن الفارق بين القوانين القائمة والأخرى التى يُطالب بها الآخرون قليل ، وأن الاجتهاد كفيف بالتوفيق بين الثوابت والمتغيرات . وإذا كان ذلك كذلك فلماذا نقف عند حد المناقشة ولا نتجاوزه إلى حيز التنفيذ ؟ . لماذا لا نخرج من جو القتامة والشك إلى نور النهار السافر المؤيد بالمصلحة العامة وحقوق الإنسان والوحدة الوطنية ؟

كيف نواجه العدو؟

نحن نواجه أزمة اقتصادية طاحنة ، وغلاءً وحشيًا مجنونًا لا يريد أن يقف عند حد ، وينذر بعواقب وخيمة لا يجوز أن نقف أمام نُذْرِهَا مكتوفي الأيدي . وقد يطول الانتظار حتى تظهر نتائج الجهد المبذول في تنفيذ الخطة حتى يشعر بها المواطن المطحون في حياته اليومية . في مثل هذه الظروف يجب أن تنفجر في الأنفُس شعلة التضامن الاجتماعي ، ويعرف كل فرد واجبه في حدود إمكاناته ، كل فرد وكل جماعة وكل مؤسسة على جميع المستويات الرسمية والشعبية .

أول ما يجب أن يختفى من حياتنا الإسراف والسفه ، إذ لا يمكن الجمع بين أزمة طاحنة وإسراف سفيه ، يجب أن نتخذ من الترشيد أسلوبًا جديدًا في حياتنا ، وهو أسلوب يعد فضيلة في الظروف العادية ولكنه ضرورة حتمية في الظروف الاستثنائية .

نحن في حاجة دائمة إلى ترشيد في الإنجاب ، والطاقة ، والمياه ، والغذاء ، وخاصة ما يتعلق بالكماليات والمظاهر والتقاليد البالية .

وليس من العدل أن نوجه هذه الدعوة إلى الجميع على قدم المساواة ، ولكن لِكُلِّ على قَدْرِ قدراته . يجب أن توجه أولاً إلى الدولة لتكون قدوة ومثالا ، ولثلاً تنفق ملياً بلا ضرورة وفي غير مصلحة عامة . وتوجه إلى

لجهد ، ولا تداول في الحكم ، وأنها تصرخ في وادٍ ، وتمضى إلى طريق مسدود .

فهل تقابل العناد بالتطرف ، والكبرياء بالعداوة السافرة ، يجوز ذلك ، بل يجب في الظروف العادية ، أما اليوم فإن الموقف أكبر من ذلك وأشد . إنه موقف الحكمة والتضحية ، ولن يفوز فيه من ينكل بالخصم أو يوقعه في عواقب سَوَّاته ، ولن يظفر بالبطولة ذكئً أو مُناوِرًا أو داهية ، ولكن الوطن والتاريخ ينتظران البطل الحكيم الفدائي المنكر للذات ، الذي يتقدم الصفوف مستهدفاً غاية وحيدة ، هي سلامة الوطن .

١٩٨٨ / ٧ / ٧

الحلم والواقع

القادرين الذين ينفقون بلا حساب وبدون مراعاة للظروف والمشاعر أو تدبّر لما يحدثه سلوكهم في إطلاق العنان لوحش الغلاء ليفتك بإخوانهم من ذوى الدخل المحدود . وتوجه بعد ذلك إلى كل مَنْ يملك فرصة للانضباط بدون أن يكلف نفسه مالا تطيقه . على كل فرد أن يعيد النظر في حياته ، ويحاور ضميره ، ويستمد القوة من ذاته ، ويتذكر أنه عضو في جماعة لا حياة لها إلا بالتآلف والتضامن والإنسانية .

١٩٨٨ / ٩ / ٨

حلمى الجميل الذى لا أتخلى عنه أن أرى شعبنا يستقيظ ، أن يستيقظ شعبنا فيسترد وعيه وإرادته ، وأن يتملك قوته وسلطانه ، وأن يصبح مصدر السلطات ، وحاكم الحُكام ، ومحرك الأحداث ، فيسود القانون ، وتتقدس حقوق الإنسان ، ويتلاشى الانحراف ، وينطلق الإنتاج والإبداع ، ليذهب عهد الأوصياء إلى الجحيم ، فقد حل محله عهد ديمقراطية وحرية ، كانوا أوصياء مزيفين . كانوا هم أنفسهم فى أشد حاجة إلى الوصاية والأوصياء .

جربنا - قبل وبعد الثورة - الوصى العميل ، والوصى الوطنى الثائر ، والوصى السياسى اللبق ، فاختلفت النوايا ، وتنوعت الأهداف ، ولكن حققت الهزيمة والخطيئة على الجميع ، لأن الوصاية الرشيدة لا تكون إلا للشعوب . فى عهود الوصايا المتتابعة - قبل وبعد الثورة - استشرى الاستعمار ، وضاع الاستقلال ، ومُئِنياً بالهزائم والفساد ، وغرقنا فى بحار القروض ، وفَتَكَ الغلاء والإرهاب بالكرامة والأمان . ولولا التماعات من يقظة الشعب فرقت ومضاتها السماء المظلمة على فترات من التاريخ ما بُعِثْنَا من المقابر ، ولا تصدينا للمقادير .

انفض يا شعبنا العزيز واستيقظ . اسحقْ عادتك السيئة فى تعليق

كلمة بين الصخب والغضب

إليك صورة عامة لحياتنا اليوم . . شعب يقف صابراً أمام وحش الغلاء ، وترهقه أزمة شبابه ، ودولة تنفذ خطة بعيدة المدى بجهد غير منكور ، ولكنه دون الكفاية بالقياس إلى ضخامة المشكلات ، وفي وسط ينوء بالتسيب واللامبالاة ، وبين هذا وذاك تنطلق من حين لآخر شرارات غاضبة تسفر عن ضحايا من الشعب ورجال الأمن ، متحرشة بالاستقرار ، ومنقضة برعونة على وحدة الأمة المقدسة .

لابد من كلمة للجماعات الإسلامية ، ولابد من كلمة إلى الدولة .

للجماعات أقول : إنه لم يَحُلْ عصر من عصور الإسلام من فَرَقَ متناقضة ، تعيش بعضها في ظل الخلاف المشروع ، وتقاتل البعض الآخر في حروب أهلية أنهكت الأمة ونالت من وحدتها وقوتها . في عصرنا يُعالج الخلاف الفكري في جو الديمقراطية بالمناقشة والدعوة ، ولا يلجأ فيه إلى القوة إلا عاجزاً أو مستبداً أو إرهابياً ، وما أنتم في النهاية إلا فرقة إسلامية لها فكرها ورؤيتها ، ولستم الوحيدين في الساحة ، فثمة غيركم مسلمون لهم فكرهم ورؤيتهم .

من حق كل فريق أن يعيش تحت مظلة فكره مؤمناً آمناً ، وأن يمارس حياته بما يُرضى ضميره ويبرىء ذمته . أمّا تجاوز ذلك إلى استعمال القوة

سوء حظك بنظام أو رجل . لا تُنكر نصيبك من المسؤولية مهما جل شأن الخضم أو بطشه . أنت مسئول عن ضياع التجربة الديمقراطية الماضية . أنت مسئول عن فشل التجربة الاشتراكية . لولا صبرك ما تهادى ظالم أو تمادى طاغية . واجه الحقيقة واعترف واندم وتُب ، واسترد حقك الشرعى ، والتمس إليه الوسيلة بكل سبيل ، والله معك .

١٩٨٨ / ٩ / ٢٩

شرفاء لكن مجرمون

لا يخلو مجتمع من الجريمة ، ولكن كلمتي لن تجرى حول المجرمين العاديين ، مثل معتادى الإجرام والمتورطين في الجريمة لأسباب شتى ، وذوى العاهات العقلية ، والإرهابيين .

هنالك نوع آخر ، لا يختلف في مظهره عن المواطن الصالح ، فهو يمارس مهنة مشروعة ، وقد يحظى بالجاه والنفوذ ، ولكنه يرتكب من الغش والفساد والانحراف في عمله ما يتسبب في الأذى أو يسوق إلى الهلاك ، وهو يقدم على انحرافه بدافع الطمع أو الإهمال ، وبضمير ميت يدل على أنه دسيسة خبيثة في المجتمع وليس عضواً عاملاً فيه .

وقد عرفنا من تلك الجرائم ألواناً شكلت في زماننا ما يمكن أن نعتبره ظاهرة ، أسوق إليك أمثلة على سبيل التذكير ليس إلاً . منها الأغذية الفاسدة التي طُرحت للتداول مع علم أصحابها بفسادها . ومنها الأغذية التي همَّ أصحابها بإدخالها إلى البلاد وهم على تمام العلم بتسرب الإشعاع القاتل إليها . ومنها ما نُشر عن كابلات مستهلكة ظلت تعمل بعد انقضاء عمرها الافتراضي ، فأحدثت المئات من الحرائق والضحايا ، وغير ذلك مما تراه الأعين أحياناً في الطرقات .

ماذا يعني هذا ؟ يعني أن يوجد مجرمون متخفون تحت أقنعة الشرفاء ،

في فرض الرأي فهو سلوك خارج على القانون ، مُهدِّد للأمن ، ونذير سوء لاستقرار المجتمع ووحدته الأساسية ، ولا مفر من أن يُقابله المجتمع بالدفاع عن نفسه وسيادته بدون هوادة ، وإلاً فَقَدَ جدارته ومضمونه ، فليكن جهادكم مشروعاً ، واحقنوا دماءكم ودماء إخوانكم من رجال الأمن .

وللدولة أقول : إنه لا بد من مضاعفة الجهد في البناء ، ومطاردة الفساد ، وإحقاق الحق والعدل ، وسيادة القانون ، وإنَّ ملاذناً الأخير في استكمال الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ، فدعوا الأحزاب تتكون كيفما تشاء ، وأطلقوا الحرية للأحزاب القائمة لتعمل على استقطاب الشباب وتربيتهم ، وبث الوعي المضيء في قلوبهم ، دعوا الشعب يتحرك ويستعيد صحته وعافيته ليعلو صوته على جميع الأصوات .

إن النُّذُرَ تتطير من حولنا حاملة رسائل الكدر ، ولن يعنى السكون إلاً الاستسلام لمستقبل مجهول في غير صالحنا .

١٩٨٨ / ١٠ / ١٣

نحو مجتمع لا يقوم على العنف

هنالك حوادث عنف تستحق الحزن وتثير الامتعاض . وهنالك تحاملات قاسية لم نعهدها إلا أيام الاستعمار أو الاستبداد . وإذا كنا مازلنا نعم عمومًا بالاستقرار والطمأنينة فإننا يرجع الفضل في ذلك إلى صولة جهاز الأمن ، وما فُطِرَ عليه شعبنا من اعتدال ورحمة . ونحن نريد للاستقرار أن يدوم ويرسخ بفضل المناخ النقي والعدل الشامل والخير السابغ والمبادئ السامية ، لكى نقضى على العنف ، بل لكى نبني نهضة جديدة بنا ، وهو الأهم ، وهو الهدف .

إنَّ علينا أن نستثمر جميع طاقاتنا في تنفيذ التنمية الشاملة ، خطة بعد خطة ، وأن ننظر إلى الحياة نظرة جدية قادرة على البذل والتضحية وضبط النفس والشهوات ، والإضراب الكامل عن كافة ألوان السفه والتبذير . وأن نظارد الفساد مطاردة لا تقف عند حد ، ولا تعرف المواربة أو الهوادة أو التمهل ، لنستعيد الثقة في أنفسنا وفي دولتنا وفي الحياة .

وأن نولى الإصلاح السياسى حقه من العناية والاهتمام ، ولنبدأ فوراً في إلغاء القوانين المقيدة لتكوين الأحزاب كخطوة أولى أو عاجلة لنقضى على أسباب الغربة المخيمة على فئات من الشعب بدون وجه حق . وأن نستجيب بدون تردد - وبالرضا الواجب - لمطالب الهيئة القضائية

وأن انحرافهم يتجاوز حدود الفساد الجارى إلى الشرع في القتل أو القتل نفسه ، وأن المواطن الذى نطالب له بحقوق الإنسان محروم لديهم من حقوق الحيوان والنبات .

والأمر لا يمتل الصبر حتى يطرح التهذيب والتربية والحضارة ثمراتها الإنسانية ، فلا مناص من الرقابة والمتابعة واتخاذ الإجراءات الصارمة للقضاء على الجريمة والمجرمين ذوى الألقعة الشريفة ، وهم شرُّ أنواع المجرمين .

١٩٨٨ / ١١ / ١٠

لو وازنًا بين المشكلات من ناحية والجهد المبذول لحلها من ناحية أخرى نجد أن كفة المشكلات مازالت الراجحة ، وقبل أن يدهمنا المجهول ونحن مُنْهَمِكُونَ في حياتنا اليومية ، علينا أن نفكر في مواجهة دفاعية شاملة لاتخاذ موقف ، والإشارة إليه إشارة واضحة . ونحن - كأفراد وأحزاب وهيئات ومؤسسات - لا نقصر في التفكير في حاضرنا وغدنا ، فما أكثر المقالات والبحوث والكتب والوصايا ، ولكن ذلك جميعه يدور في برج مستقبل عن الواقع والتنفيذ ، كأنها هو جهد من أجل راحة الضمير أو تزجية الفراغ ، ويبقى الركود من حولنا أو شيء من التحرك البطيء الذى لا يتناسب مع ضخامة المشكلات وتربص الولايات .

علينا كأمة أن تجتمع لتُحدِّد موقفها من تحديات عصرها . أن تجتمع أحزابها المُعلَّنة وغير المُعلَّنة ، وأهل الخبرة المُوزَّعون بين المجالس القومية والنقابات المهنية والعمالية والجامعات . أن يجتمعوا لدراسة المشكلات واقتراح الحلول . قد يتفقون على رأى فى أمر أو أكثر ، وقد يصلون إلى أغلبية فى أمور ، وقد يختلفون فيما عدا ذلك ، ولكننا سنهتدى من خلال الاجتماع إلى قرارات على سبيل الإجماع فلا نتردد فى تنفيذها ، وهو حكم يسرى على الأغلبية ، ويشجع الحكومة على إصدار قراراتها ، وحتى ما

لدعم استقلال العدالة من أى شائبة ، وإعلاء سيادة القانون بحق لِيُظَلَّ الحاكم والمحكوم ، البريء والمتهم ، فنخطو خطوة حاسمة نحو عصرنا المنير .

وأن نضع الجهد لبث روح ديننا بين الناشئة عن طريق التربية ، وبين الناس جميعًا عن طريق وسائل الإعلام ، ليستقر فى أعماق النفوس كطاقة هائلة للتقوى والمعاملة السامية والعمل والعلم والتسامح واحترام حقوق الإنسان .

بعد ذلك يحق لنا أن نتصدى لمن تسول له نفسه الاستهانة بالقانون بما يقطع دابره ويستأصل شأفته .

١٩٨٩ / ١ / ١٩

نختلف فيه سيتضح لنا منه ما يخفى على العين العابرة . علينا أن نتحرك حتى لا نبدو لعين التاريخ كقوم غارقين في غفلة الذهول انتظاراً لما يجيء به الغيب . وكيف يركن قوم للغفلة وحياتهم تروج بمشكلات مثل الديون ، والنمو السكاني ، والبطالة ، وأزمة الإنتاج ، والفساد ، والتوفيق بين الرؤية الإسلامية والوحدة الوطنية والعصر؟! .

١٢ / ٤ / ١٩٨٩

هانحن نعقد العزم على التصدى بحزم لجرائم المخدرات والاعتصاب ، ونتشدد في سنّ القوانين الرادعة العادلة حماية للكرامة البشرية وسلامة الوطن . وما من شك في أن جميع انحرافات الفساد التي تعوق نهضتنا تستحق مثل ذلك الحزم ، فتهرب الأموال ، والنصب على البنوك ، والاتجار في العملة ، ورفع الأسعار المفتعل ، وسوء معاملة الشعب ، واستغلال النفوذ ، والمحاباة الطبقية ، كل أولئك تشكل وضعاً غير إنساني ، وتحدث ضرراً بالغاً للملايين ، وتعوق نهضتنا عن الانطلاق ، وتدهمنا وتدهم أبناءنا بالإحباط والسلبية ، وتحرض البعض على التطرف ، كما تغرى البعض الآخر بالانحراف . ومع ذلك فحذار أن نتوهم أن العقوبة هي نهاية الجهد والاجتهاد أو غاية الختام . العقوبة وسيلة لا غنى عنها لخط الدفاع الأولي ، وهي تجيء في تقدير الإصلاح في المستوى الأدنى ، وما هي إلا الوسيلة السهلة المتاحة إذا تأخرت الوسائل الناجعة أو تأخرنا عنها .

العلاج الحقيقي يوجد في شبكة معقدة متكاملة من الإنجازات : في الاقتصاد ، والسياسة ، والثقافة ، والأخلاق ، وهو ما نسميه بحق التنمية الشاملة . هي المشروع القومي لمن يبحثون عن مشروع قومي ، وأي مشروع يفوق في أهميته القضاء على التخلف والانطلاق نحو

الوعظ في هذا العصر

العصر. وكلما تقدمنا خطوة في الإنجاز تقدمنا تلقائياً في خدمة الوطن والشباب والعقل والدوق ، وتغير منظور الحياة أمامنا ، وارتفع موقعنا فيها ، فتجرى الدماء في العروق ، والآمال في القلوب .

والعقوبات الحاسمة ضرورة ولا شك ، ولكن الشباب في حاجة إلى مَنْ ينجيه في أزmate الطاحنة ، ويهديه إلى الصراط المستقيم وهو يخوض ظلمات الليل البهيم . أهلاً بالعقوبات الحاسمة ، ولتكن فرصة نُقُومُ فيها المُعَوِّجَ من شئوننا ، ونظهر أنفسنا من الخباث .

١٩٨٩ / ٥ / ٤

رسالة الوعظ هي أن تعرفنا بالدين للعمل للأخرة والدنيا معاً ، أن نعبد الله عبادة صحيحة ، وأن نتعامل مع الناس وأطوار الحياة بما يرضيه ، ومهمته الأولى يسيرة ، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة ، الأولى يسيرة لثباتها ووضوح معالمها ، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة لأنها لا يجوز عليها الكسل أو الغفلة ، لأن الدنيا تجري بدون توقف مع الزمن ، وتلقى كل يوم - وربما كان ساعة - جديدًا في المعرفة والعمل ، وما يترتب على ذلك من تجديد في المعاملات والسلوك والعلاقات التي يتبادلها البشر ، سواء في الوطن الواحد أو على مدى الكرة الأرضية . ويتطلب ذلك من الواعظ يقظة مستمرة ، ووعيًا بعصره ، واطلاعًا متواصلًا على ما يحدث في الحضارات ، وما يضطرم به جوف الحاضر أو يتمخض عنه وجه المستقبل .

ويجب أن يوضع ذلك في الاعتبار عند وضع المناهج الدراسية للوعاظ ، وبخاصة ما يتعلق بالحضارة وروح العصر ومتطلباته ، وسير البشرية من الثورة الزراعية إلى الصناعية ، وانتقالها رويدًا رويدًا إلى عصر المعلومات ، وكيف أنها بفضل وسائل الاتصال الحديثة تتجه نحو نوع من التوحد ، وأنه لن يوقف موجاتها المتدفقة قرار أو مصادرة أو رقابة أو

البناءون والمخربون

في حياتنا أصدقاء وأعداء ، أولئك بينون وهؤلاء يخربون ، ربما انتصر المخربون فترة من الزمن ، ولكن العاقبة في النهاية للبناءين . ولعله من المفيد أن نستعرض ونتذكر ، فَمَنْ هم البناءون ومن هم المخربون ؟
أذكر في البناءين :

١ - الرئيس الذى لا ينى عن الحث على العمل والتحذير من الفوضى ، يطوف بمواقع العمل فى الداخل ، ويتنقل بين الشرق والغرب فى الخارج سعياً فى سبيل الخير والسلام .

٢ - قلة جادة مجتهدة ، عاملة فى صمت ، تنفذ الخطة بأمانة وخبرة ، تكافح مشكلات الحاضر وتتطلع إلى الغد ، وتبشر بمستقبل أفضل .

٣ - معارضة صادقة وطنية لا تضن برأى ولا تحشى فى الحق لومة لائم ، وتصبر على مكاره كثيرة وظروف عسيرة .

٤ - جماعة مخلصه من أهل الرأى والخبرة فى المجالس القومية ، تفكر وتفكر ، وتصدر التوصيات تلو التوصيات ، وتتابع بهمة كل كبيرة وصغيرة .

وأذكر فى المخربين :

غير ذلك من وسائل الهروب . فالسؤال المطروح على الوعظ والوعاظ هو: كيف نعيش مسلمين اليوم وغداً فى هذا العالم المهيمن الذى لا مهرب منه ؟

من هنا نجىء أهمية الاجتهاد للتصدى والمواجهة ، ولكى يشارك المسلم فى الحياة المتجددة بدون حرج أو شعور بالغرابة ، أو محاولات يائسة للهروب إلى كهف الماضى ، فإما أن نجتهد وإما أن نقترض . ولذلك يجب أن ينتمى الوعاظ إلى هيئة عليا من العلماء المجتهدين ، لعلها أخطر الهيئات الدينية فى عصرنا ، يوكل إليها رسم الحدود لحياة المسلم فى العصر الحديث . جميل أن نتذكر القول بأن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان ، وقد آن لنا أن نثبت ذلك بالفعل والعقل والإيمان .

١٩٨٩ / ٦ / ١

ما من مجتمع إلا وله نصيبه من الجرائم والانحرافات . لعلها تقل كلما أحرز المجتمع مزيداً من التوازن الروحي والمادى فاتسم بالحضارة والصحة النفسية ، وتزيد كلما اختل ميزانه وتكالتبت عليه عوامل الجهل والفقر والتخلف ، فسرى في أوصاله التحلل واليأس واللامبالاة . لذلك فإن كفاح الجريمة حقاً ما هو إلا باب من أبواب كفاح التأخر بصفة عامة ، وإعلان الحرب الحضارية على الجهل والمستوى المتدنى من المعيشة والقهر والعبث بحقوق الإنسان والتطاول على قداسة القانون والقيم . تُرى ما الموقف المثالي لوسائل الإعلام من الجرائم والانحرافات التي لا تبرا منها فئة أو طبقة ؟

لا يمكن أن تتجاهلها إثارةً للسلامة وحسن السمعة ، وإلاً خانت رسالة من أهم رسائلها ، وهي إمداد الناس بالمعلومات عما يقع في بلادهم والعالم ، لتستخلص العبرة منه وتبحث على مقاومته واقتلاعه من جذوره .

ولا يمكن أن تعالجها بروح الإثارة والتشويق والتهويل لما يعنيه ذلك من المغالاة في تصويرها ، وما يصاحبه حتماً من إشاعة الفزع واليأس ، بل وما قد يغرى المترددين والمرضى النفسيين بالتورط في الجريمة .

- ١- المهملين والمتسيبين واللامبالين .
 - ٢- ناهبي المعونات ومهربى الأموال .
 - ٣- المتهرين من الضرائب .
 - ٤- تجار الموت من مهربى المخدرات ومروجيها .
 - ٥- المتريحين من معاناة الشعب والمتاجرين بلقمته .
 - ٦- المضللين المزايدين بأجل الكلمات لخدمة أحط النوايا .
 - ٧- العابثين بحقوق الإنسان وقيمه وآماله .
- أما البتأون فيستحقون تقدير الأمة . وأما المخربون فيستحقون الموت .

حول مشروع قومي

مما يشير الدهشة أن يجتمع مفكرون للبحث عن مشروع قومي يلتقون حوله . فالمشروع القومي هو الذي يدعو الناس للاعتراف به وإعلانه والدعوة للالتفاف حوله . إنه ينشأ بذاته في مجرى التاريخ ، ينبثق من خلال الظروف السياسية والاجتماعية والدولية كضرورة حتمية ، ثم لا ينتظر إلا إشارة من فرد أو جماعة ليصبح هدف حياة أمة في فترة من الزمن . هكذا كان إحياء الروح الوطنية على عهد الاحتلال الذي بشر به الحزب الوطني القديم . هكذا كان الاستقلال عقب الهدنة وإعلان مبادئ « ولسون » الذي حمل لواءه الوفد . هكذا كان الحكم الديمقراطي بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ الذي جاهد في سبيله مصطفى النحاس . هكذا كانت العدالة الاجتماعية التي تبناها رجال ثورة يوليو ، لم يكن ثمة اختيار بين بدائل ، فلكل فترة مشروعها ، ولكل مشروع رجاله .

والظاهر أنه لا يوجد مشروع قومي اليوم بالمعنى الشامل ، ولكن يُطرح على الساحة مشروعان لا يخفيان على أحد :

مشروع التنمية الشاملة الذي يتعامل مع جميع المرافق والأنشطة الداخلية ، ويستهدف سياسة خارجية عربية وإفريقية وعالمية على أسس

وجوهنا أن أفيقوا وهُبُوا قبل أن يجرفكم الطوفان ، وما الإرهاب إلا ثمرة مُرَّةٌ للمعاناة والفساد وسوء الأحوال .

ويجب أن نستكمل مسيرتنا الديمقراطية ، وأن نحترم القانون وحقوق الإنسان ، ونهيب مناهجاً صالحاً للحياة الصالحة ، أقول ذلك وأنا على علم بأن البلاد الديمقراطية لا تخلو من فسادٍ أو إرهاب أو تطرف ، ولكن الأمل في تحطّي العقبات مع الحرية والإيجابية الشعبية أكبر منه في وهدة الشمولية والقهر والظلم .

عندما نتوجه بصدق نحو تحقيق ذلك نهيب لمعركتنا مع الإرهاب قوة ومعنى وركيزة ، ونكرس لرجال الأمن قضية عادلة تستحق التضحية والبذل ، فينطلقون في مهمتهم السامية أبطالاً لا موظفين مكلفين بالدفاع عن منحرفين من نوع ما ، ضد منحرفين من نوع آخر .

١٩٩٠ / ١ / ١١

الوحدة الوطنية

حكيمه متوازنة ، ويجاول اللحاق بالعصر ، مع تمسكه بالدين والقيم والوحدة الوطنية ، وهو مشروع يجب أن يلتف حوله جميع من يؤمنون بالأهداف المذكورة . ولعله لا يحظى بما يستحق من انتشار وحرارة لتقصير القائمين به في خلق القاعدة الشعبية المناسبة ، والتردد الذى يمنعه من تبنى الديمقراطية الكاملة ، ولفساد الإدارة الذى يثير السخط والسلبية .

والمشروع الآخر هو المشروع الأساسى ، وله قاعدة متينة ، ولكنه غارق فى الماضى ، متخلف عن العصر وروحه ، مُتَحَدِّ متصلب ، وفيه عُنف ، يصد عنه المسلمون قبل غيرهم ، وحتى قادة الرأى الإسلامى السمح المستنير متهمون عنده ، ولم يسلموا من يده ولسانه ، وهذا المشروع لو نقى نفسه من آفاته ، وثَابَ إلى روح الإسلام الحقيقية ، وتبع رجاله المستنيرين لصلح أن يكون للمشروع الأول مرشداً ومذكراً ومشيراً . أما الذين يبحثون عن مشروع قومى فعليهم أن ينضموا إلى أحد المشروعين المطروحين ، ويخلصوا من سلبيتهم التى تحرم الأمة من علمهم وخبرتهم .

١٩٩٠ / ٣ / ٨

كأنه كابوس يعيش فيه النائم المعذب . . إشاعة غريبة يصدقها أناسٌ ، ويندفع منهم نفر فيحرقون ويخربون . ثم ينجلي التحقيق عن كذب الإشاعة ، وتبقى الحسائر شاهداً على عمق مأساة وأحزان أمة . كيف تخيل البعض مالا وجود له ؟ . لماذا سارع أناسٌ إلى التصديق ؟ لماذا تطوع آخرون بالتخريب ؟ .

لقد شهدتُ عصرًا يمكن أن نسميه عصر الوحدة الوطنية . كانت واقعاً حياً ، وعاطفة صادقة ، وأساساً مكيناً . وكان لها خصوم سياسيون لا يكفون عن مهاجمتها بالتلميح والتصريح واختلاق الأكاذيب ، ولكنها كانت تصد عن بنائها أى عدوان بدون أدنى حاجة إلى تدخّل رجال الأمن أو رجال الإرشاد ، وكنا نعتبرها من صميم الفطرة ، كحب الوطن ، والأسرة ، وفى غنى عن التوجيه والتربية .

ماذا يجرى اليوم فوق أرض مصر المحروسة ؟ الإشاعة تُصدّقُ ، والريبة تنتشر ، والاعتداء يقع ، والكآبة تنشر جناحها فوق القلوب الحزينة .

كيف يحدث هذا التدهور ؟

لعل جرائم مؤذية تتسلل إلينا من الخارج . لعلها آلام الحروب

طوق النجاة

المتعاقبة واحتدام الأزمة الاقتصادية . لعلها بعض رواسب الحكم الشمولى التى تبطىء انطلاقا الديمقراطية . لعلها الاصطلاحات المنحرفة التى تتردد بغير حساب عن الصليبية وتستهن بالوطنية وتفرق بين أبناء الأمة الواحدة . الوحدة الوطنية هى أساس حياتنا ، وهى المنطلق لى أى وحدة أشمل .

اليوم ينادى المصلحون بالحوار والرأى والحزم ، ولكن الأمر يدعو لى نشاط أكبر ، نشاط يُعَرَّفُ كُلَّ حزب وكل نقابة وكل هيئة دورها الوطنى فيه . إنهم يجتمعون من أجل الإصلاح السياسى والدستورى ، وهذا حسن ، والوحدة الوطنية لا تقل فى أهميتها عن تلك الأهداف السامية إن لم تزد .

أَسْمِعُوا الجميع رأيكم عاليًا ، ثم انطلقوا لى قاعدة الشعب بالمثال الطيب والكلمة الطيبة .

١٩٩٠ / ٣ / ٢٢

لعله لا يوجد خلاف بين الأغلبية الساحقة من المصريين على الإيمان بالدين ، ولكن يوجد خلاف ولا شك عن علاقة الدين بالدنيا ، منهم من يرى فى الدين علاقة حميمة بين الإنسان وربه ، وقوة يستمد منها روح النضال ليجعل من دنيا الله مأوى طيبًا للبشر يتجسد فى أركانه الحق ، والعدل ، والحرية ، والعلم ، والجمال ، والحب ، وهم يستوحون الشريعة ، ويحثون على الاجتهاد والانفتاح على العالم وحضاراته وثقافته ، مع الحرص الجميل على الوحدة الوطنية ، وحقوق الإنسان والأصالة . ومنهم آخرون يغفلون فى دينهم غُلوًا يدفعهم لى تجاهل الزمن ، وتجاوز الساحة ، والميل لى العنف ، وسوء الظن بالآخرين إنسًا وأفكارًا وحضارات وثقافات .

ولن يُحَسِّمَ الخلافُ بين الفريقين إلا فى جو الحرية والحوار واحترام حقوق الإنسان ، من أجل ذلك فإننى أدعو لى إطلاق حرية تكوين الأحزاب ، والعمل الصريح المعلن ، والتنافس المشروع بالبرامج المفصلة ليعرف كل فرد منطلقه وماله . ومن أجل ذلك أيضًا فإننى أدعو جميع التيارات المتمية للفريق الأول الاندماج فى جبهة وطنية واحدة تحت أى اسم قديم أو حديث . أدعو الحزب الوطنى والوفد والعمل والأحرار والناصرين والتجمع لى هذه الجبهة المفتوحة . والحق أنه لا يوجد

طائفية حقيقية وطائفية عارضة

يندر أن يتميز مجتمع بالتجانس الكامل في جميع النواحي العرقية والدينية ، ولكن الاختلاف لا يؤدي دائماً إلى الفتن والمشاكل المزمنة ، والطائفية لا تصبح مشكلة حقيقية ونزاعاً أهلياً إلا إذا تعذر السلام واستحال الوفاق ، وأندرت المعاشرة بالعواقب الوخيمة ، كالحال بين البيض والزنج ، أو بين الهندوس والمسلمين .

مصر تخلو من الطائفية بهذا المعنى ، وهي لم تعرفها في أى عهد من العهود ، تعايشت فيها الأجناس والديانات في سلام . وانحرافاتهما في ذلك الشأن لا تتجاوز انحرافات الأقارب في الأسرة الواحدة ، والقرية المصرية خير شاهد على ذلك بما تأوى بين جناحيها من أصول مختلفة وديانات متباينة ، وكذلك الحارة ، ولكن من الحق أن نقول : إن المعاشرة لم تخلُ أحياناً من توترات تشتد أو تخف تبعاً للظروف والأحوال ، ويمكن إرجاعها جميعاً إلى أسباب اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، تفسد الأمور بفسادها وتصلح بصلاحها .

تعال نتقَّص الأسباب لنزداد فهماً لواقعنا فنزداد قدرة على تقويمه :

قد يجيء التوتر من الدولة نفسها إذا مارست التفرقة بين أبنائها في الوظائف والمعاملات ، وليس التعصب هو الدافع ، بدليل أن التفرقة

خلاف حقيقى بين الوطنى والوفد ، والأحرار والعمل ، كذلك لا يجوز أن يوجد خلاف مع الناصريين والتجمع بعد التغييرات العالمية والتطور الذى يشكل اليسار العالمى تشكيلا جديداً لا يخشى على عقل أو بصيرة .

إننا نتلقى كل يوم نذيراً جديداً يدعو إلى إعادة النظر والأوضاع فوق خلافاتنا التاريخية ، وذكرياتنا الأليمة ، من أجل إنقاذ مصر ووحدتها وتقدمها لتحل في المنزلة اللائقة بها في هذا العصر .

اللهم أنزلنا منازل الشاكرين على الهداية لا النادمين على الغواية .

١٩٩٠ / ٤ / ١٩

أبدينا الرأي في الانحراف الديني وما يفرزه من عواقب وخيمة على النهضة والفكر ووحدة الأمة ، وربطنا تضخمه بالمناخ السياسي والاقتصادى والإدارى ، وكيف أن الإصلاح الشامل خليق بأن يعيد إلى المجتمع توازنه ويرد إليه ما أثر من استقامة وتسامح ووطنية ، ولكن ذلك لا يمنع من أن نعالج الموضوع على مستواه الفكرى البحت ، كعقيدة ودعوة ، لنسد الثغرات إن وُجدت .

أقول : إن الإسلام دين إنسانى شامل ، يشع مبادئ خالدة ، كالحرية ، والعدالة الاجتماعية ، وحقوق الإنسان ، والتسامح ، والحب المكين للعلم والعمل ، إلى اتسامه بالاعتدال وتجانبه عن المغالاة ، ودعوته المؤثرة إلى دار السلام . على حين أن التيارات المنحرفة تتصف بالمغالاة والتعصب وضيق الأفق ، ولا تتورع عن استعمال العنف والدعوة للحقد والكراهية .

كيف تشتد تيارات من ذلك النوع حتى تكدر صفو دين بذلك الصفاء ؟ ! ألم يكن الأجدر بالدين أن يصمد حيال السياسة والاقتصاد والإدارة ، وأن يكون درعاً ضد الفساد والانحلال والانحراف ؟

وما يدعو للدهشة أن الدين الحقيقى يملك مؤسسة الأزهر

تمارس أيضاً بين المسلمين لحساب أهل القمة . إذن فالعيب يكمن أساساً في سوء الإدارة والفساد والاستغلال ، والصلاحيات يجيء بالنزاهة والاستقامة والعدل ، فيتحقق الاستقرار والطمأنينة للمسلمين والأقباط معاً .

وقد يجيء التوتر من الاستبداد ، حين يستأثر فرد أو جماعة قليلة بالسلطة ويحرم الشعب من المشاركة . والحق أن الحرمان يقع على الجميع ، ولكن المنتمى إلى الأقلية يظن أنه هو المقصود به ، ولا علاج لذلك إلا بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان .

وقد يجيء التوتر من سوء الحال الاقتصادية ، والخوف من الفقر ، حيث يضيق الإنسان بنفسه وبأسرته وبجيرانه .

وقد يجيء التوتر من خطورة تيارات متطرفة تنادى بالعداوة وتميل إلى العنف ، ولكن هذه التيارات تتجاوز حجمها الطبيعى بمن ينضم إليها من الساخطين على الحياة نتيجة للانحراف الإدارى والسياسى والاقتصادى .

إن ما يكدرنا اليوم من توتر طائفى لا علاقة له بالطائفية الحقيقية ، إنه توعدك عارض نتيجة لحال عامة ، ونذير يحث على مضاعفة الجهد لإحداث وثبة إصلاحية . إنها مشكلة حضارة لا مشكلة خصام دينى .

١٩٩٠ / ٥ / ٣

عودة إلى الانتماء

ومعاهدها ، والآلاف من الأساتذة والدعاة ، وفي مقدمتهم رجال يُعَدُّون مفخرة للعقل والضمير . كما يملك جميع وسائل التربية والاتصال ، من مدارس ومساجد وإذاعة وتلفزيون ، في حين أن التيارات المنحرفة لا حيلة لها إلا الدعوة السرية والوسائل المباشرة المحدودة . ألا يدعوننا ذلك إلى إعادة النظر في المنهج والإعداد ؟ . ما دور المدرسة كما ينبغي له ؟ وما دور المساجد ؟

ما دور الإذاعة مسموعة ومرئية ؟ .

ليست العبرة بالكم ، ولكنها بالكيف ونوعية الرجال ، والسؤال المطروح اليوم وغداً هو : كيف تكون التربية الدينية ؟ وكيف تكون الدعوة الدينية في عصر المعلومات والبيث المباشر والثقافة الشاملة بدون حواجز ؟

ما أكثر ما عندنا من رجال دين مستنيرين ، وما أكثر مالدينا من مفكرين مستنيرين ، ومن يعمل للدين فإنها يعمل للدين والدنيا معاً .

١٩٩٠ / ٥ / ١٠

يطلق الانتماء على الولاء والحب ويقظة الشعور بالمسئولية ، وهو يتجلى أقوى ما يتجلى في العمل ، وقد تعبر عنه الكلمة في الكتابة أو الكلام ، وقد يضطرم به القلب حباً صادقاً ، وهو أضعف الإيمان ، وخير نموذج للانتماء هو ما يربط بين أعضاء الأسرة ، ولكنه ينشأ في هذه الحالة بما يشبه الغريزة ، ودونها حاجة إلى مجاهدة أو تربية . أما الانتماء إلى المجتمع فهو خلق واكتساب وتربية ، يتكوّن نتيجته لتجمع الإنسان في بيئة محددة تقوم على التجاور والتعاون ، ويخضع لمؤثرات نفسية واجتماعية وحضارية ، وتتم به ظروف ترتفع به إلى ذروة القوة ، وتعرضه ظروف أخرى توهن من قوته ، وربما هبطت به إلى هاوية الفناء .

في ظروف النهضة - كما في ظروف الشدة - يشتد الانتماء ، حتى ليُضَحَّى بالانتماء الأسرى ، وفي ظروف الانحلال والتراجع يضعف الانتماء العام ، فلا يبقى إلا الانتماء إلى الأسرة ، وربما اشتد التدهور فلا يبقى إلا انتماء الفرد لذاته ، والسؤال الذي يتحدّثنا في هذه المرحلة من حياتنا هو : كيف نُقوى انتماءنا العام حتى نجعل منه دعامة للتصدي للتحديات وبناء مجتمع جديد صالح ؟ إنه لا نهضة حقيقية بغير انتماء حقيقي ، بل إن درجة النهوض تتناسب تناسباً طردياً مع درجة الانتماء ، فالإنسان هو الأساس ، هو الذي يضمن نجاح كافة العوامل الأخرى ،

وإذن فلكى نخلق الانتفاء ، علينا - مع العناية بالتربية والإعلام
والمواعظ - أن نُقَوِّمَ الحُكْمَ بالديمقراطية ، وأن نعالج الإدارة بالحزم
والرقابة ، وأن نطارد الفساد والمفسدين بلا هوادة .

١٩٩٠ / ٧ / ٢١

إنه أهم من المال والتكنولوجيا والتخطيط ، وبدون الإنسان المنتمى المال
يُنهب ، والتكنولوجيا تفسد ، والتخطيط يصبح حبراً على ورق ، ولكن
ما هي العوامل التي تؤثر في الانتفاء قوة وضعفًا؟ إنها :

١ - التنظيم السياسى ، فالنظام الذى تقوم فيه الدولة بكل شىء ،
والذى لا يقوم على المشاركة الشعبية الفعالة ، يدعو المواطن إلى التخلص
من حَمْلِ الأمانة ، وتغريه بالاهتمام بشئونه الخاصة وحدها ، هذا إذا وفق
النظام فى إنجاز مهمته وتحقيق أهدافه ، أما إذا أخفق أو غلب عليه
الإخفاق فقد يتماهى الاهتمام بالذات إلى لا مبالاة وسلبية صارخة وسخط
على الدولة ، وقد يضيع الفرد بين ذلك وبين يأس قاتم ، فيتورط فى
الجريمة والمخدرات .

٢ - مناخ المجتمع العام وما يسوده من سلوك يتجلى فى معاملته
للفرد، يرهقه فى الحصول على ضرورات حياته ، من غذاء ، وكساء ،
وتعليم ، وصحة ، ونظافة ، ومواصلات الخ . ولا يحترم حقوقه كإنسان
فى الطريق والمصالح الحكومية ، حتى ليشعر المواطن فى النهاية أنه يعيش
فى مجتمع معادٍ يضمن عليه بالحب والاحترام ، فيبادله كراهية بكراهية ،
واحتقارًا باحتقار .

٣ - الاستهتار بالقيم والقانون ، وما يتبعه من تسلط الانتهازيين
والمنحرفين ، فيجد المواطن نفسه بين اثنين : إمَّا التمرد على المجتمع ، أو
السقوط فى هاوية الانحراف .

نحو تربية حديثة

التربية مسئولية عامة خطيرة بما تمثل من عناصر أساسية في بناء الشخصية الإنسانية ، لذلك يجب أن نهتم بها الاهتمام الواجب في جميع مراحل التعليم وأجهزة الإعلام لتقييم أساساً متيناً للفرد ، وقاعدة بشرية جديدة بالحياة في هذا العصر . ونحن نولى التربية الدينية والقومية ما تستحق من عناية ، ولكن لا بد من إضافات أخرى ، تنضم كدراسات حرة ، أو في كتب القراءة ، وغير ذلك من وسائل الاتصال الحديثة .

في مقدمة ذلك التربية الثقافية التي تستهدف حَلْقُ المواطن المُحب للمعرفة ، والمتذوق للجمال في كافة صوره الفنية والطبيعية ، مما يقتضى نشر المكتبات في المدارس ، والمجلات ، وفرق التمثيل ، والموسيقى ، والشعر ، والخطابة . ومن الأهمية بمكان عرض تاريخ الحضارات لإيضاح ما قدمه كل شعب للإنسانية من إنجازات روحية ومادية ، وليكون تنوع الحضارات مدخلا للتفاهم ، وتبادل التقدير بديلاً من الجفوة وسوء الظن .

كذلك يجب أن يلم أبناؤنا بما يتيسر من مبادئ المنهج العلمى ، لا باعتبارها باب النجاح للعلم وإنجازاته فحسب ، ولكن أيضاً بوصفها المنهج الصحيح للتفكير السليم . والضمان لسلامة العقل ووضوئه من

الانحرافات والآفات التي تخضعه لتسلط الانفعالات والتعصب ، وتحرره من قبضة الخرافات والترهات التي تزيّف الحقائق وتوقف التقدم .

وأخيراً وليس آخراً ، يجب الاهتمام اهتماماً خاصاً بحقوق الإنسان : في فكره ، وعقيدته ، وسلوكه ، والتعامل معه ، لينشأ الأبناء على احترام أنفسهم ومواطنيهم والناس جميعاً ، وليحظى الفرد عندهم بما يستحق من احترام وتقديس .

إن الاهتمام بتلك القيم هو اهتمام بالإنسان والإنسانية ، اهتمام بالعقل والفكر والديمقراطية الحقة كما تجرى في الحياة اليومية . هو في النهاية الحضارة التي يجب أن نتحصّر بها في العالم الحديث للتكيف معه ، واكتساب القدرة على العيش فيه بنجاح وسعادة وكرامة .

١٩٩١ / ٨ / ١

من طرائف البحوث ما تقوم به وزارة العدل الأمريكية من رصد وتسجيل للجرائم التي تُرتكب بدافع الكراهية في الوطن الأمريكي . ولا شك أن وراء ذلك النشاط رغبة حكيمة في فهم المجتمع وما يؤثر في العلاقات المتبادلة بين أفرادهِ وجماعته ، للارتقاء بالتشريعات مستقبلاً لِتَحْيِيءَ مُطابِقَةً لواقعه ، مُعَالَجَةً لأدوائه ، مُهَدِّبَةً لسلوكياته ، وحافِظَةً لحقوق الإنسان فيه . سوف يكشف ذلك الرصد عن مدى الأثر الفعلي للعنصرية ، وتباين العقائد ، وفوارق الطبقات ، وتضارب الثقافات والإحباطات الجنسية والعاطفية ، والصراعات الاقتصادية ، وخصام الأجيال المتتابة .

حقاً إن الحياة الاجتماعية هدف إنساني قديم ، وهو في مضمونه يقوم على التعاون ، ومن أجل التعاون فيما يحقق للإنسان أمنه وأمانه وتقدمه ، ويكرس واجباته وحقوقه ، ويمهد له السبيل للإبداع والرقى ، ولكن الأناية والمنافسة وتفاوت الإمكانيات تفسح مجالاً واسعاً للظلم والبغى ، والقهر والضياع . وقد تصدت لذلك على مدى التاريخ الديانات والمذاهب ، مستهدفة العدل والتوازن والرحمة ومحاربة البغى والفساد . وما القَدْرُ المتاح من السعادة للبشر إلا الثمرة التي يفوز بها في معركة الخير والشر ، أو القانون والفوضى ، أجل ، إنَّ السلوك البشري يحتاج

عودة للغزو الثقافي

قضية ما يسمى بالغزو الثقافي قضية جديدة باهتمام الناس جميعاً على اختلاف مواقفهم وتوجُّهاتهم ، ويمكن أن نلخصها في الكلمات الآتية : كيف نتعامل مع الحضارات والثقافات المعاصرة لنا على مستوى العالم ؟ . وهى قضية لا يمكن إدراك أبعادها وتقدير عواقبها إيجاباً وسلباً إلا على ضوء العصر وإمكانياته ، وطبيعة الحياة فيه .

قديمًا كان قوم يدعون إلى فتح النوافذ للحضارة المتفوقة ، والتسليم لها بدون قيد أو شرط . وآخرون دَعَوْا إلى إغلاق النوافذ - فيما عدا ضرورات العلم - محافظة على الأصالة ، وإيثاراً للسلامة . وفريق معتدل تطلع إلى اختيار ما ينفعه ، ونَبَذ ما يضره ولا يتوافق معه . وكان من الممكن - في ذلك الزمان - السيطرة على رسم سياسة يُتفق عليها عن طريق البعثات ، والترجمة ، والتربية ، والإعلام .

لكننا نعيش اليوم في عصر جديد ، عصر المواصلات السريعة ، والسياحة ، ووسائل الإعلام الحديثة التى ستشق طريقها بدون رقابة أو ضوابط . إنه عصر يتعامل مع الأطراف باعتبارها أطرافاً في جسد واحد ، إنه عصر يبشر بالتَّوْحُدِ والاختلاط والامتزاج ، وكَسْر الحواجز ، وإلغاء الحدود المعنوية والمادية .

إلى مراجعة دائمة ويقظة ساهرة ، ويتجلى ذلك في نهضاته الدينية ، وتجديداته المذهبية ، وفتوحاته الفكرية . إنه في حاجة دائمة إلى ما يُفَجِّر طاقات عقله ، ويقوى إرادته ، ويؤجج حبه للخير . إنه بحاجة دائمة إلى قهر عواطف الكراهية والشر ، وتربية عواطف الخير والحب لمواطنيه خاصة ، وللبشر عامة .

ليت كل فرد منا يسأل نفسه قبل النوم عمَّا فعل به الحب ، وعمَّا فعلت به الكراهية ، ليعرف أى إنسان هو ، وأى طريق يسلك .
هذه هى معركة الإنسان الأبدية ، وهذا هو قَدَرُهُ .

١٥ / ٨ / ١٩٩١

نحن نعيش فترة انتقال وعلى مفترق من الطُّرُق ، بل أصبح هذا القول يصح على العالم أجمع على تفاوت درجاته من التقدم . حسبك أن تتذكر ما يجري في العالم الاشتراكي ، وفي أوروبا ، وفي آسيا ، فضلاً عن العالم الثالث . وفترات الانتقال فترات شديدة الحرج ، مفعمة بالألام كمثّل ما تكون في حياة الأفراد عند الانتقال من الطفولة إلى الصبا ، أو من الصبا إلى المراهقة ، أو عند التردى في الشيخوخة ، فعلى مستوى المجتمعات يضطرب الناس عادة بين التطرف من ناحية كوسيلة للمواجهة يميناً ويساراً ، والسلبية من ناحية أخرى كهروب من أعباء المواجهة ومتاعبها . وبين هؤلاء وأولئك يسقط أناس في الجريمة أو المخدرات أو الانحلال والأنانية .

وما هو بالسهل الميسور أن نخرج من عالمنا الثالث إلى العالم المتطور ، ولا هو بالسهل الميسور أن نجد حلاً موفّقاً بين السلفية المطلقة والواقعية المطلقة ، أو ميزاناً عادلاً بين سلطة الدولة وسلطة الشعب ، أو بين زهو القوة وحكمة القانون ، أو بين الأهواء الجامحة والمنهج العقلاني العلمي ، أو بين الانطوائية والعالمية التي توشك أن تغزونا في مجالسنا العائلية . ثم إننا لا نترك لمجرى الزمن وحده ولا لتطور التاريخ ، فما نحن نحمل

في ضوء هذه الحقائق يجب أن نعيد نظرنا للقضية ، فلا نعتمد على الرقابة أو القوة ، سوف يتردد كل رأى وكل تيار وكل ذوق وكل عادة في كل بيت بصراحة ووضوح . سيكون صراع رهيب لخلق حضارة واحدة وثقافة واحدة ، وسيبذل كل إنسان من خلال ذلك الصراع جميع ما يملك من معرفة وذكاء .

والتوحد في الحضارة والثقافة لا يعنى بالضرورة إلغاء الذاتية والخصوصية ، فحتى في الحضارة الواحدة في الوطن الواحد لم تمنع من وجود ثقافات متباينة في شتى أقاليمه .

وإذا فقدنا وسائل الرقابة المألوفة فيمكن بالتربية الرشيدة أن نحل محلها رقابة ذاتية تعتمد على النقد والقدرة على الاختيار . أجل ، لا بد من تربية ديمقراطية تقوم على الحرية والاستقلال والمناقشة والحوار .

فما يبقى لنا سوى أن نربي أبناءنا التربية العقلية السليمة ليكونوا قادرين على التصدى لكل جديد بدون تحامل أو تعصب من ناحية ، وبدون انبهار وتسليم من ناحية أخرى .

وسوف يتقرر البقاء للأصلح والأنفع والأجمل .

١٩٩١/٩/٥

العقل أعظم هدية حظي بها الإنسان ، وعلى الإنسان أن يدرك أنه لم يحظَ بها لغير ما هدف ، ولكن لتكون مرشدة في الحياة مثلما أن الغريزة مرشد للحيوان . أجل ، توجد مجالات لا حيلة للاقتراب منها إلا بالوجدان والذوق والإلهام ، أما الحياة الباقية ، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والطبيعية فيجب أن تعتمد أولاً وأخيراً على العقل . لا بد من منهج علمي وتخطيط ونظرة شاملة تستند إلى تخصص وثقافة ، وتتحاشى الأهواء بموضوعية وتحرر من الأفكار السابقة ، تجرى في حرية كاملة ، في التصور والأداء ، لا ضابط لها إلا المسؤولية الإنسانية العامة ، واختيار الفرد لمواقفه ومصيره .

ويمكن أن نقيس درجة التحضر بمقدار الدور الذي يلعبه العقل واحترامه ، وعلى هذا الأساس تتحدد مكاسبنا وخسائرننا . ولنقدم شاهدين من حياتنا :

١ - قضية فلسطين . اندفعنا فيها بانفعالاتنا ، البعض يجهل أبعادها ، والبعض يتجاهلها ، فلم نسلم بالموقف الواقعي إلا اليوم . لو سلمنا به في حينه لأنقذنا أرواحاً لا تحصى ، وأموراً لا تعد ، وزمناً يكفى لبناء أمة .

أعباءً إضافية من مشكلات كالجبال ، مثل التكاثر السكاني ، والديون ، والبطالة ، وقلة الموارد .

وهكذا إنَّ حُسْنَ وعى الفرد وقع فريسة للحيرة والكآبة ، وإذا ساء وعيه غرق في ذاته فمات وهو حَيٌّ أو حَيٍّ وهو ميت .

إنها فترة الانتقال ، فترة العذاب ، ولكنها أيضاً فترة العمل والجهاد ، ومبعث الخلق والإبداع ، ومولد القادة والأبطال . هي الامتحان التاريخي للهمم والعزائم ، ولا محيد فيها عن النجاح ، لأن البديل هو الموت ، ونحن لم نُخلق لننتحر .

١٩٩١ / ١٠ / ٢٤

الحياة لا تتوقف ، تيارها يجرى في تدفق دائم ، تجيء كل يوم بجديد ، ثم يصبح الجديد قديماً ، ويهل جديد تال . فعلى من يريد أن يحيا في تيارها المتدفق أن يتحلى بصحوة شاملة ومستمرة ، صحوة تشمل الروح والعقل والإرادة ، وتكسر الحرية كوسيلة ناجعة ، وغاية إنسانية سامية . نعى بالحرية انطلاق الفكر والخيال والسلوك والاختيار والاختبار . في الوقت نفسه نعلم أن ذلك كله يمارس في مجتمع بشري ، وفي ظل قانون عام ومبادئ وتقاليد . ولكننا نعلم أيضاً أن القانون والمبادئ والتقاليد يجب ألا تتخلف عن التيار المتدفق ، يجب أن تتجدد وتثري رؤيتها وأسلوبها ولغتها ، وأن تكون معاملتها متفاعلة مع حركة الحياة ومتطلعة معها إلى غد أفضل .

يجب أن تسقط الأوراق الصفراء الجافة لتنبث محلها أوراق ناضرة خضراء مترعة بهاء الحياة . في سبيل ذلك يجب أن يبذل الإنسان جهده ويتدرّع بشجاعته ، ويستضيء بعقله وروحه ، ولو ضحى من أجل ذلك براحته وأمنه وحياته . يجب أن يقهر الخوف ويعلو فوق الرغبة المثبطة ، ويعتبر الموت جزءاً من الحياة ، ويقبل الأمانة بوصفها « الجديدة » التي لا تتحمل الجدل .

٢ - قضية سلمان رشدي . اندفعنا فيها بالعواطف والمظاهرات والفتاوى ، فهياًنا للكتاب انتشاراً كالنار ، وعرضنا بسلوكنا وأقوالنا الإسلام لكل لكل ناقد أو متربص ، وما كان الأمر يتطلب أكثر من تجاهله ، أن نُعَرِّضَ عن الجاهلين ونمضى في سبيلنا ، أو أن نناقش النص ناقلين مُحَلِّين ، ثم نترك الكتاب ليلحق بمئات الكتب التي هاجمت الإسلام منذ القرون الوسطى وحتى اليوم ، وبقي الإسلام ونماً وانتشر ورسخ .

العقل يا سادة هدية سامية ، وفي وسعنا أن نرعاها في المدارس وأجهزة الإعلام ، ولكن علينا أن نؤمن به أولاً .

١٩٩١/١٢/٥

يعيش بيننا قوم يتصورون أنهم العدو الأول للصهيونية العالمية ، يقفون لها بالمرصاد ، يفضحون أسرارها وخباياها ، ويكتشفون يوماً بعد يوم قواها الخفية ، ويميطون اللثام عن أخطبوطها الممتد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً برغم ضآلة الحجم البشرى الذى تمثله ، لا يعترفون بِصُلْحٍ ، ولا يدعون لسلام ، ويرفعون إلى الأبد شعار الجهاد والقتال .

انظر كيف يرون الصهيونية ؟ إنهم يرونها قوة عائلية تسيطر بدهائها وتديرها على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وأوروبا الغربية . تسوق الجميع إلى الطريق الذى يحقق ذاتها ومصالحها وأهدافها المعلنة والخفية . يرونها القوة التى شكلت التاريخ البشرى متنكرة فى كل عصر فى القناع الذى يُناسبه ، فهى مُشعلة الثورة الفرنسية ، وثورة أكتوبر الروسية ، بل كانت وراء الثورة العربية ، وثورة ١٩١٩ ، وكل حركة تاريخية .

وما الحرب العظمى الأولى إلا مؤامرة صهيونية ، وما الحرب العظمى الثانية إلا مؤامرة أخرى ، وما من هيئة علمية أو أدبية أو فنية ، أو نظرية نفسية أو اجتماعية إلا والصهيونية محركها وموجهها ومستقبلها والقاضى فيها بما هو قاض ، إذن فالكرة الأرضية مرتادها ، ولعبة فى يدها ، وحركة من نشأت أفكارها ، ولعلها تتطلع الآن للهيمنة على الكون والقوى الخفية والمصائر الأزلية .

إن أى قوة تعترض سبيل الإنسان محاولة اعتقال تطلعه الشريف نحو المعرفة والعلم والإبداع والتجديد لَهَى قوة من قوى الظلام والتخريب ، وحليف من حلفاء الشيطان والاندثار . وما من جماعة بشرية تستحق هذا الوصف يمكن أن تتراجع أو تتساهل مع تحديات الظلام ، أو ترضى بأن تقع فريسة لمخالب الشيطان ، وكنا نود أن نحشد الطاقة كلها للبناء والتعمير والإبداع ، ولكن يعزينا بعض الشيء أن التصدى لعوامل الهدم نوع من البناء .

١٩٩١ / ١٢ / ١٩

هذه هي صورة الصهيونية كما تتمثل في عقول الصناديد من أعدائها، لقد رفعوها إلى منزله الألوهية وعبدوها وهم لا يعلمون ، وإن صح أنها كذلك ، أفلا يكون من خير البشرية أن تسلم لها وتدعوها لقيادتها لتخرج بها من الظلمات إلى النور؟!

يا عبدة الصهيونية ، نحن لا نعبد ما تعبدون ، ولا نتمرغ في الأوهام ، ولا ننحت الأوثان ، ولا يُوبقنا شعور بالدونية والابتذال ، نحارب ونسلم ونصالح وكلنا ثقة بالناس وبالبشرية وبمالك الملك . نسأل الله الشفاء لكل ذى مرض .

١٩٩١ / ١٢ / ٢٦

متى نرجع إلى التوازن ؟ متى نرجع إلى التوازن الاقتصادي ، والتوازن الأخلاقي ، والتوازن النفسى ؟ متى وكيف نخرج من مسلسل المعاناة والكوارث؟

الدواء الذى أقرحه هو أن نرفع مرتبات العاملين فى الحكومة والقطاع العام إلى حد الأمان الكامل ، بحيث يعود إليهم الاستقرار المادى والنفسى ، ويطمئنون حيال تحديات الحياة على أنفسهم وأسرههم ، ولا يشغل بالهم غول الغلاء واحتمالات المستقبل المجهول .

ولعل المسئولين يتمنون ذلك ، ولكنهم يتساءلون طبعاً من أين يجيئون بالمال الكافى ، وإذا خصصوه لهذا الغرض فماذا يتبقى للتنمية ، وبخاصة أنه إنفاق بلا عائد ولا تعويض؟!

المشكلة أن هؤلاء الموظفين هم القائمون على العمل فى جميع الأنشطة الإنتاجية الهامة وجميع الخدمات . واختلالهم الإدارى والنفسى الناتج عن عجز رواتبهم ينعكس بعنف على الإنتاج والخدمات ، بل قد أضفى على حياتنا بصفة عامة طابعاً مؤسفاً من الإهمال والتسيب واللامبالاة ، وربما أسهم فى خلق انحرافات خطيرة ، كالتطرف ، فضلاً عن أنه فى ذاته ظلم لا يقبله عقل أو قلب .

مناظرات دينية ومدنية

تتابعت المناظرات بين أنصار الدولة الإسلامية وأنصار الدولة المدنية ، وقد رحبنا بذلك لتوافقه مع روح الديمقراطية التي تفضل الحوار على التعصب والإرهاب ، وفي الوقت نفسه وجدنا أن كل فريق - رغبة في الانتصار على الآخر - لا يكتفى بتبيان مزايا تصوره السياسى ، ولكنه أيضًا يتصيد نقاط الضعف في التصور المعارض ، فلا تخلو مناظرة من هجوم على الحضارة الحديثة ، كما لا تخلو من تشنيع ببعض المواقف التاريخية الإسلامية ، وخشينا أن يدفع التكرار للطريق الإسلامى إلى سوء ظن شامل بالحضارة الحديثة ، كما يدفع المدنيين إلى موقف قريب من ذلك ، من الإسلام نفسه .

لقد وجدنا في الفريقين صفات متقاربة يجب أن نذكرها ، فكلاهما يؤمن بالحوار والعقل ، وكلاهما يدين الأفكار المتطرفة والإرهاب ، وكلاهما لا يمكن أن يرفض الحضارة الحديثة بصفة شاملة ، أو يستهين بالعقيدة الإسلامية ، من أجل ذلك تمنيئُ أن يقلع الجانبان عن المناظرة ، وأن يتلاقيا في اجتماع موسع لمناقشة هادئة موضوعية للبحث عن نقاط الالتقاء ، والاجتهاد في اقتراح دستور يجمع بين المبادئ الإسلامية الثابتة والحضارة الحديثة ، وياحبذا لو ضموا إليهم نخبة من إخواننا الأقباط ، باعتبار أن الدستور سيطبق على الجميع ، وسوف

ولا أظن أن الإقرار لهم بحقهم كاملا مجرد خسارة مادية بلا مقابل ، بل لعل نتائجه أهم مما يتصور الكثيرون . وإنى أسوق بعضها على سبيل المثال :

أولا : أنه يعيد الاستقرار المادى والنفسى إلى عدد من المواطنين لا يُستهان به ، قد يبلغون - إذا أضفنا إليهم من يعولون - خمسة وعشرين مليوناً من الأنفس . وتحقيق السعادة لهذا الكم من المصريين إنجاز عظيم ، وما الهدف الأخير من أى تنمية إلا إسعاد المواطنين ورفع مستواهم الروحى والمادى .

ثانياً : بعودة التوازن إلى الموظفين يمكن أن يتفرغوا لواجبهم في الحكومة والقطاع العام ، وأن يقبلوا على عملهم برغبة جديدة وهمة مضاعفة ، وأن يتعاملوا مع الشعب بأسلوب جديد يتسم بالاحترام والتعاون ، والنتيجة المتوقعة لذلك زيادة فى الإنتاج قد تعوض ما أخذوه ، والتخفيف من معاناة الناس فى قضاء مصالحهم .

ثالثاً : تستعيد الدولة هيمنتها على رجالها ، وتطالب بحقها كاملا نظير الحق الذى أعطته لرجالها كاملا ، فتنحسّن الإدارة ، ويعلو صوت القانون ، وتستقر هيبة الدولة .

رابعاً : سيكون لذلك كله عواقبه الحميدة فى الارتفاع بمستوى الأخلاق ، والانتهاى الوطنى والثقافة ، والصحة ، ومقاومة النزعات المتطرفة . والله معنا فى جميع الأحوال .

١٩٩٢ / ١ / ٩

العنف كاد يصبح ظاهرة في حياتنا . . أجل ، لا يخلو عصر أو مجتمع من عنف ، ولكنه لم يكن ظاهرة تتكرر مع توالى الليل والنهار . وأبناء العنف لا تنقطع ، نسمع عنها في مجال السياسة في حكايات اغتياالات دامية ، وفي مجال الأسرة نسمع عن قتل الأبناء للآباء أو الآباء للأبناء ، وفي الشارع في المشاجرات الدامية لأسباب تستحق أو لا تستحق ، وخطف الزوجات ، والاعتداء على الأعراس ، والسراقات بالإكراه ، وفي وسائل النقل ، حيث يمارس القتل علناً وفي وسط الزحام ، وطبعاً نذكر ما يقع في المدارس بين التلاميذ والمربين ، وما يحدث بين الأزواج .

حقاً لم يعد العنف استثناءً ، ولكنه ظاهرة ، بل يوشك أن تمر أخباره بدون إثارة تُذكر ، وكأنها لأزمنة من لوازم الحياة اليومية . ولم يكن الزلزال إلا مشاركة من الأرض وقواها الخفية في مسلسل العنف ومعاركه . ونحاول أن نجد تعليلاً للظاهرة ، فنحصى ما تزخر به حياتنا من سلبيات ، مثل عنف السلطة في المعاملة ، والأزمة الاقتصادية ، وسوء الخدمات ، والبطالة ، وانسداد الطرق أمام الشباب ، وعدم احترام حقوق الإنسان . والحق أنه لا يمكن إلا أن يكون لتلك العوامل أثرها في خلق ظاهرة العنف . ولكن العنف يطالعنا بعد ذلك في أوطان هي المثل

يجدون مراجع يستضيئون بها ، منها على سبيل المثال المتواضع لا الحصر ، مشروع الدستور الذى قدمه الدكتور محمد حلمى مراد ، ورسالة الدكتور كمال أبو المجد ، وكتاب الأستاذ حامد سليمان : « العلم في طريق الصحوة الإسلامية » .

والحق أن مسافة الخلاف بين الفريقين ليست بالطول الذى يتصوره الكثيرون . إنها يتبادلان سوء ظن لا يقوم على أساس حقيقى ، ولو قدم الإسلاميون برنامجاً مفصلاً لتلاقى أكثر الخلاف إن لم يتلاش كله . ولو تراجع الإسلاميون عن اتهام الآخرين في عقيدتهم لصفا الجو وتبياً لتفاهم مشمر .

وأنا لا أشك في أن « المدنيين » يطالبون بالفصل بين الدولة والحكومة الدينية ذات الحاكم المعصوم ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يفصل بين الدولة وبين الدين نفسه إلا إذا أرادها دولة بلا قيم ولا أخلاق .

وحتى لو افترضنا قيام حكم مدنى صرف ، فلا بد أن تصدر قوانينه الوضعية متأثرة تماماً بالروح الإسلامية ، طالما أن المشرعين أنفسهم نشئوا وتربوا في أحضان ثقافة إسلامية لا يمكن تحدى قيمها الثابتة التى يؤمن بها الشعب .

لذلك أتمنى أن يجتمع الفريقان لتبادل الأفكار ، والعمل معاً بعيداً عن مشاعر الخصومة وسوء الظن ، وسعيًا وراء وفاق قد ينقذ الصحوة الإسلامية من محتتها .

في الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والتوازن الاقتصادي والحضارى، مما يجعل من العنف ظاهرة عالمية، ويزيد تعليله صعوبة وعمومًا .

ولكن يبدو أن الحقائق نسبية، وأن نظرتنا إلى المجتمعات الراقية تختلف عن نظرة أهلها لها، فهناك أيضًا توجد سلبيات، وإن كنا لا نتصورها كذلك، وها هي ذى الإحصاءات تحدثنا عن أكثر من ثلاثين مليونًا من البشر يعيشون تحت مستوى الفقر في الولايات المتحدة، أغنى بلاد العالم، وملايين من مرضى الأعصاب والقلق وضحايا المخدرات، وإضافة إلى ذلك فإن إحساس شعوب الأمم المتحضرة بنقصها أشد من شعورنا بنقصنا، واحتجاجهم عليه أشد كذلك .

خلاصه القول : إن سلبياتنا تصلح تفسيرًا للعنف في حياتنا، وإن هدفنا الأول في الحياة يجب أن يكون في القضاء عليها، وهو هدف واجب أيضًا بصرف النظر عن علاقته بالعنف، بل لعل العنف يكون من دوافع النهضة، باعتباره ردًّا فعلًا وتحذيرًا وتحريضًا دائمًا على الإصلاح.

١٩٩٢ / ٣ / ١٩

يحدثونك عن الإصلاح الاقتصادي بالأرقام والشواهد، ولكنهم يستعملون لغة خاصة يفهمها أهل الخبرة والعلم ونخبة من المثقفين، أما المطحونون بالأزمة فلا يفهمون هذه اللغة، ولا يصدقونها، وهيهات أن يعترفوا بالإصلاح إن لم تحفَّ وطأة الحياة وتيسر السبل .

إنهم يتحدثون عن استقرار سعر الصرف ومعدلات النمو، وتحسين الميزان التجارى، وتزايد استثمارات القطاع الخاص، كما يعدّون بإصدار قوانين خاصة بالبنوك والودائع، وتطوير سوق المال .

تلك إصلاحات حقيقية، ولكن الإعلان عنها يتم بلغة خاصة، ولعلها تخاطب فئات معينة من المواطنين، أمّا الرجل العادى فلا يفقه لها معنى، وقد يمر بها بربع انتباه، فهو لا يبالي إلا بأزمته أمام غول الغلاء. وبمعنى آخر، فإن الإصلاح يعالج مقومات الحياة الاقتصادية، ولكنه لا يصل إلى الشعب حتى يلد نتائج الختمية المأمولة، وتتضح آثاره في الأسعار والمرتبات، ومضاعفة الإنتاج، ومطاردة الفساد والمفسدين. بغير ذلك لا يعترف الشعب بالإصلاح ولا يصدقه، وبغير ذلك لا يمكن أن يجد الحلّ لهمومه ومشكلاته، ويستعيد توازنه وما عُرف عنه من السباحة والتهديب والاستقامة، والبُعد عن التطرف والإرهاب. وبين إصلاح المقومات الاقتصادية

فتح الطريق المسدود

يحدثونك عن الإرهاب فيربطون بينه وبين أشياء كثيرة ، مثل الفتاوى الخاطئة ، والأزمة الاقتصادية ، والفراغ السياسي ، والحكم الشمولى ، والاستهانة بحقوق الإنسان ، والإرهاب يمكن أن يكون ثمرة مرة لجميع تلك الظواهر مجتمعة ، أو لإحداها ، تبعاً للظروف والأحوال .

غير أنهم ينسون ظاهرة أخرى لا تقل عن أى من تلك الظواهر عاقبة - إن لم تزد - ألا وهى انسداد القنوات الشرعية الموصلة للسلطة ، وما ينتج عن ذلك من إحباط ، وضيق لجيل صاعد يتطلع إلى حقوقه فى الحياة ، ومن بينها - وربما فى مقدمتها - حق تَبَوُّء السلطة .

الحق أن كل جيل جديد يتطلع إلى السلطة أو الحكم ، باعتبار ذلك سبيله إلى تحقيق ذاته الفردية ، وحلمه الجماعى لتغيير المجتمع ، من حق كل جيل جديد أن يتطلع إلى ذلك ، بل إن واجبه واتباءه وطموحه يُملئ عليه أن يتطلع إلى ذلك ، ويعمل على تحقيقه بكل وسيلة مشروعة ، فإذا بدا الطريق أطول مما يجب أو طال بطريقة مفتعلة أو سُدَّ تماماً فلا أمل فى منفذ . أصبح اللجوء إلى العنف مما قد يرد على بعض الخواطر .

وقد عَاصَرَتْ الحياة قبل ثورة يوليو ، وأشهد أنه لو كان الدستور قد احترم وعَرَفَ كُلَّ هيئة حدودها فربما كتب لتاريخنا أن يكون غير ما كان

ونتائجها المأمولة طريقٌ ليس بالقصير ، وفترة انتظار حرجة . إنه موقف شديد يطالب كل مواطن ببذل كل ما يملك من رأى - لو قدر - للتخفيف من معاناة المطحونين ، والدفاع عن مصالحهم ، ونقد السلبات التى تعرقل مجرى حياتهم ، مع تجنب المزايدة والإحراج والتحريض . إنه موقف يقتضى التقد البناء ، والموضوعية ، والإخلاص والارتفاع عن الحزازات الشخصية لتكون أهلاً للدفاع عن عَمَلِنَا القومى ، وتضامننا البشرى فى أسمى معانيه .

١٩٩٢ / ٦ / ١١

حرية عادلة

بالأمس القريب تضخمت الدولة حتى أصبحت كل شيء . هي الأمن ، والدفاع ، والتعليم ، والصحة ، والمواصلات ، والزراعة ، والصناعة ، والثقافة ، هي كل شيء ، ونتيجة لذلك تضاعف دور الشعب حتى صار لا شيء .

الجميع مُسْتَحْدَمُونَ في جهاز الدولة ، اقتصر اهتمام كل فرد على شئونه الخاصة ، وقنع فيما عدا ذلك بالمشاهدة ، وربما صرفه الملل عن ذلك أيضًا .

اليوم تتغير الأمور ، تسرى في المناخ نسيمات من الديمقراطية ، وتنفض في الأرواح قطرات من النشاط الحر ، وهناك ما يبشر بالعودة إلى حمل المسؤولية ، والخروج من السلبية والكسل .

إذن فقد عرفنا طريق النجاة ، وما بقى علينا فهو أن نظهر سطحه من العقبات ، وأن نمهده للسير ، بل للانطلاق ، ثمه عقبات تتحدى آمالنا بعناد ، مثل الإرهاب ، والمخدرات ، والتلوث ، والفساد . ويطالبنا الواجب بإجراء إصلاح سياسى جذرى ، والمزيد من الإنتاج ، وتقويم الجهاز الإدارى ، وبث الأمن والأمان والاستقرار . ويتساءل قوم : وهل نضحى بالعدالة الاجتماعية ؟ .

.. كان من المحتوم أن تفقد الأحزاب القديمة شعبيتها ، وتحل محلها أحزاب شابة مباشرة بالتغيير الاجتماعى ، أو فى تقديرى أن أجيال الشباب يميناً ، ويساراً كانت سترث الأغلبية فى انتخابات ١٩٥٠ ، وتمضى فى تطبيق ما طبقتة ثورة يوليو فى جو من الحرية والديمقراطية ، كان خليقاً أن يحبنا كثيراً من الأخطاء القاتلة .

فلننظر إلى واقعنا على ضوء ماضيينا من ناحية ، والتسليم بالحقائق البشرية من ناحية أخرى ، فنجعل لنا طريقاً ممهداً للسلطة ، حالياً من العقبات المفتعلة والرواسب الشمولية .

من أجل ذلك أقول : إن الحل الأمثل هو الديمقراطية ، واحترام حقوق الإنسان .

١٩٩٢ / ٨ / ٦

المزاج والعنف

مازال دور الدولة كبيراً ، لن يقتصر على الأمن والدفاع ، حتى في أعرق البلاد ديمقراطية ، فإن دور الحكومة يتجاوز الأمن والدفاع ، وسوف تظل الدولة في بلادنا مهيمنة على الصناعات الاستراتيجية ، ومسئولة عن التعليم والصحة ، ومواجهة للتربية والثقافة ، ومتصدية لسلبيات المجتمع والبيئة ، ويدخل في نطاق ذلك محاربة البطالة والفقر.

أبدًا لن تكون الحرية واحترام حقوق الإنسان ضمرات موجهة للعدالة، ولكننا لن نصادر الحرية والكرامة باسم العدالة ، وباللجوء للقهر والاستبداد والإرهاب الرسمى .

١٩٩٢ / ٨ / ١٣

لمناسبة حوادث « أبو حماد » المؤسفة قال المحافظ المسئول : العنف مزاج عام ، وعلينا كأجهزة مسئولة أن نبحث له عن علاج .

لكن ما الذى جعل العنف مزاجًا عامًا لشعب عُرفَ على مدى التاريخ بالوداعة والصبر ؟ .

الحق أن الأسباب كثيرة ، ولا تغيب عن ذاكرة أحد . فقد حفل تاريخه المعاصر بالاستبداد ، والإرهاب ، والفساد ، والهزائم ، والغلاء ، والبطالة ، وانسداد الطرق أمام الشباب ، والظلم ، والمحسوبية ، وسوء الخدمات ، واضطراب الإدارة ، وعدم احترام حقوق الإنسان ، والتطرف والتهديد ، لا من المواطنين وحدهم ، وربما وجدت تفاصيل تزيد الصورة قبحًا وبشاعة .

وهناك سبب آخر ، وهو أن المصريين في معاناتهم التاريخية التى تلقوها على أيدي حكام أجنبي أو شبه أجنبي لم يرجوا لديهم خيرًا ، ولاشك أنهم أمَّلوا - بعد أن آل الأمرُ إلى أبنائهم - أن تتغير المعاملة ، وأن يجد المصرى فى دواوين الحكومة ومستشفياتها ومدارسها وسجونها ما لم يكن يحلم به من قبل .

هذه هى الأسباب التى أفقَدَتْنَا الصبر ودفعتنا إلى العنف . ولعل

يمكن تفسير ضرب السياحة بدافعين قد يصلان معًا متعاونين ، وقد يعمل أحدهما دون الآخر . أول الدافِعَيْنِ : تصور ديني متطرف . وثاني الدافِعَيْنِ : رغبة سياسية جامحة تستهدف إخراج الحكومة ، ولو خرب في سبيل ذلك الاقتصاد القومي . وناقش الدافع الديني فنقول : إنَّ مُفَكِّرَيْنِ إسلاميَّيْنِ كبيرين ، هما المفتي والأستاذ الغزالي ، قد أغنيانا عن ذلك ، وخير الكلام ما صدر عن أهل الاختصاص فيه ، فمن موقعيهما المميزين قَرَّرَا أنَّ السياحة حلال ، وأن حياة السائح وماله في ذمة المسلم .

ولا بأس من أن أضيف إلى ذلك الرأي الشرعي الحاسم تصوري للموضوع من الناحية الإنسانية العامة ، فأقول : إن السياح قوم يزورون بلادنا باختيارهم ، وبرغبة صادقة ، فزيارتهم دليل على حُبهم لبلادنا يستحقون عليه الشكر ، وأنهم ينفقون في بلادنا أموالاً طائلة ننتفع بها في دعم نهوضنا وتقدمنا ، مما يستحقون الشكر عليه أيضًا .

قد يعترض البعض على تقاليد السائحين مما لا يتفق مع تقاليدنا أو يتنافر مع أذواقنا ، ولكن هل نخلو نحن من مثل تلك السلبيات ؟ إن بلادنا حتى قبل أن تصبح سياحية لم تخلُ من الخمر والسكراري

السيد المحافظ قد أدرك الآن أن مهمة العلاج أخطر من أن يقوم بها سيادته أو أجهزته ، إنها تحتاج إلى علاج شامل وخطة متكاملة وتنمية جامعة مانعة ، وهذا ما تقوم به الدولة وتركز عليه في عهدها الأخير خاصة ، ولكنه يحتاج إلى زمن ، وإلى صبر ، وإلى عمل ، وإلى جهد ، فلندع ما للدولة للدولة ، ولنفكر قليلاً فيما ينشب بين الشرطة والجمهور، مما يوشك أن يصير ظاهرة لا حادثة عابرة .

والعلاج واضح ، وهو « أن تُعاملَ الناسَ بما تُحِبُّ أن يُعاملوكَ به » ، ولكنه يحتاج إلى مجاهدة للنفس ، وإخلاص للمجتمع ، ووطنية صادقة . يجب أن تقوم العلاقة بين الشرطة والجمهور على الثقة والاحترام في ظل احترام حقوق الإنسان . يجب أن تذكر الشرطة أنَّ واجبها الأول هو أن تكون في خدمة الشعب حقاً وصدقاً . إننا نعرف تماماً ما الشرطة ، وما واجباتها ، وما تضحياتها ، وما خطورتها في حماية المجتمع وتكريس القيم والمبادئ .

لذلك لا نريد أن نسمع عن فرد تُساء معاملته في قسم شرطة ، فضلاً عن أن يُقتل فيه ، لا نريد أن يصدق الناس شائعة كاذبة عن حادث وقع في قسم . ، إنَّ خدماتكم تملأ السجلات فلا تفسدوها بغضبة عارضة ، أو كبرياء في غير موضعها .

١٥ / ١٠ / ١٩٩٢

كيف نتصدى للإرهاب؟

والمقامين والمستهترين والداعرين ، وهيئات أن يخلو مجتمع من بعض الانحرافات التي تقل أو تكثر تبعاً للأحوال والظروف .

بل أقول أكثر من ذلك : إنَّ لدينا من السلبيات ما لم يسمع السياح عن مثله ، أو ما يندر وجوده في بلادهم . فكثير من بلادهم لا تعرف الرشوة أو لا تكاد تعرفها ، ولا تعرف الإهمال والتسبب ، ولا تعرف الغش في البناء الذى يعرض مئات الأرواح للهلاك في أوقات الزلازل وفي غيرها . فمفتى السياح - لو كان لديهم مفتى - هو الذى كان يجب عليه أن يحذرهم من سلبياتنا ، ويحثهم على الوقاية منها .

الحق أنه لا توجد حجة لدى المتربصين بالسياح ، لا من الناحية الدينية ولا من ناحية الأخلاق والتقاليد . لم يبق لتبرير الجريمة إلا الرغبة السياسية في إحراج الحكومة للتخلص منها والاستيلاء على السلطة .

وقد تكون السلطة غاية مشروعة للمواطنين جميعاً على اختلاف مشاربهم ، ولكن لا يجوز المساس بحرمة المصالح القومية العامة من أجل الوصول إلى تلك الغاية . يجب أن نكون في صراعنا السياسى ديمقراطيين لا إرهابيين .

١٩٩٢ / ١٢ / ١٠

الإرهاب مشكلة تتفاقم يوماً بعد يوم ، وتمتد عواقبه إلى مجالات كثيرة، فأصبح يهدد الأمن والاقتصاد والوحدة الوطنية . طبيعى أن ينشغل كل مواطن بعلاجه والتخلص منه ، فلا يمكن أن نتجاهله ، إذ لا استقرار نفسياً مع تجاهله .

هو في أصله فكر متطرف ، وجد في التاريخ الإسلامى منذ نشأته . والفكر المتطرف في ذاته ليس مشكلة ، فما من رأى أو مذهب إلا وفيه الاعتدال والتطرف ، وأذكر أنه على طول حياتى لم يخلُ المجتمع من آراء متطرفة ذات اليمين وذات اليسار .

ولكن التطرف قد ينحرف إلى العنف فيصير إرهاباً . كيف ومتى ينحرف التطرف إلى الإرهاب؟ أرجو - بادىء ذى بدء - ألا يتجه تفكيرك إلى دولة خارجية أو أكثر ، فالإرهاب كظاهرة لا تستطيع أى دولة خارجية أن تخلقه ، وغاية ما تستطيعه الدولة الخارجية هو أن تستغل وجوده فتتمده بما يحتاج إليه من مال أو سلاح خدمة لأغراضها . وإذن فعلياً أن نبحث عن أسباب الإرهاب فى الداخل قبل كل شىء . فكيف ومتى ينحرف التطرف إلى الإرهاب؟

هناك أسباب كثيرة قد يتعاون بعضها على خلقه ، ويكون أثرها أشد

سنة طيبة ، وكل عام وأنتم بخير . . . بدء عام جديد من الحوادث التي تدعو إلى التفاؤل والثقة في الخير ، برغم الزلزال والإرهاب والأخطاء الفادحة . . . علينا أن نشحذ الحياة ونقوى دوافع الثبات والنصر لنستمد من تقلبات الحياة العبر ، ومن التاريخ الدروس والأمثال ، ولنُقل برغم الزلزال والإرهاب والأخطاء الفادحة : سنة طيبة ، وكل عام وأنتم بخير.

لِمَ لا ؟ حتى في أيام العُسر والظلمات سمعنا صوتًا يبشرنا بانخفاض التضخم ، ويبشرنا - لأول مرة - بزيادة معدل التنمية على معدل الزيادة السكانية . سمعناه أيضًا يطمئننا إلى أن نهضتنا تعتمد على السلام وحسن العلاقات مع الدول جميعًا ، كما تعتمد على العلم والتكنولوجيا .

وفي العام الجديد تشرق علينا مع مطلعها آمال جديدة لا غنى عنها : أمل في أن يتحقق السلام الشامل العادل في شرقنا العربي مما يتيح لنا القضاء على أسلحة الدمار الشامل والتفرغ للتنمية .

أمل في أن يتجاوز العرب خلافاتهم المتبادلة ليعنوا بمصالحهم المشتركة .

أمل في تحويل التعاون بين أمم العالم الثالث من عالم الأحلام إلى عالم الحقائق .

إذا اجتمعت معًا . منها الأزمة الاقتصادية وما تحدثه من إحباط وبطالة ويأس ، ومنها الفساد وما يعقبه من استفزاز وغضب والقضاء على الثقة في المسؤولين والقانون ، ومنها استحالة التغيير بالطرق المشروعة وانسداد القنوات الشرعية إلى السلطة ، ومنها ما يتعلق بالمعركة بين المتطرفين ورجال الأمن ، وما تسفر عنه أحيانًا من عدم احترام لحقوق الإنسان ، الأمر الذي يدعو للحقد والثأر .

ومن عَرَضِ الأسباب تتضح لنا سُبُل العلاج ، وهي إِنْ أُتْبِعَتْ بأمانة قُضِيَ على الإرهاب وأصبح جريمة فردية بعد أن كان ظاهرة اجتماعية .

ولا ينكر منصف ما تبذله الحكومة في الإصلاح الاقتصادي ، ولا في الدفاع الأمني وهي تقاوم الفساد ، ولكن جهدها في ذلك دون المطلوب ، كما أنها لم تُعَنْ كما ينبغي لها بالإصلاح السياسي الذي يغطي بقية الأسباب .

واعلموا يا سادة أن الإرهاب لا يصير ظاهرة إلا إذا أصبح المجتمع في أشد حاجة إلى علاج ، وكان العلاج في أشد حاجة إلى الشجاعة والتضحية .

أمل في أن نعالج الإرهاب كما ينبغي لنا ، وأن نزيل عن وجه حياتنا السياسية تجعّداته المتوترة .

أمل في أن يكون العام الجديد عام الديمقراطية وحقوق الإنسان .

لم لا ؟ لقد بلّونا المر ، ودُقّقنا السم من الحروب والاستبداد والفقير والتعصب . . فليس من الغريب أن نتطلع إلى السلام والتنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان .

١٩٩٣ / ١ / ٧

ثمة صحة دينية ينبض بها قلب العالم الإسلامى . . العرب والعجم والهنود والإفريقيون يطرحون قضايا متشابهة ، ويتطلعون إلى أحلام متماثلة . وقلنا للصحة : أهلاً ، ولم يساورنا منها خوف على تراثنا الحديث ، التراث الذى اكتسبناه من العصر ، مثل الديمقراطية ، وحرية الفكر ، والوحدة الوطنية ، واحترام الإنسان ، بل على العكس ، قلنا : إننا سنستمد من الدين قوة جديدة لا عتناق مبادئ العصر ، إنه دين بالإيمان والعقل ، يصلح لكل زمان ومكان ، حتى لو اختلفت الأسماء والأوصاف . لم نتصور أنه يمكن أن ينفى فضيلة حديثة أو يصادر قيمة سامية .

إنه الدين الذى ساوى بين البشر ، والذى يحتكم إلى العقل ، وينادى بالعقل . دين من فرائضه التفكير والعمل والنظافة . دين مقياس فى القلب والمعاملة . تصورت أن ما يشغلنا فى الصحة ، أجل ما يهم البشر والبشرية . . أن تدور أفكارنا وتلهج ألسنتنا بما يقرب الإنسان من ربه ، وما يعمر دنياه ، ويؤاخى بينه وبين الناس ، ويوسع مداركه ويزيد معارفه ، وينور خواطره بالبحث والعلم ، ويمتع روحه بالفن الرفيع الجميل .

هذا ما كان يجب أن يكون ، فما الذى كان مما هو كائن !؟

عن دور المثقفين

يتساءلون عن دور المثقفين في التحديات التي تواجهنا ، وفي مقدمتها الإرهاب ، وفي تصوري أنه لا توجد قاعدة تخص المثقفين وحدهم دون بقية الفئات ، بل توجد قاعدة عامة واحدة تنطبق على الجميع ، ويمكن تلخيص تلك القاعدة في الكلمات الآتية : « إن كل مواطن مطالب بأن يؤدي واجبه كاملا في نطاق إمكانياته المتاحة » ، هذه القاعدة تصح مع الجميع من أميين ، ومتعلمين بلا ثقافة ، ومتعلمين مثقفين ، ومتخصصين في الثقافة والفكر ، فكلُّ مُطالب بأن يؤدي واجبه كاملا في حدود إمكانياته . الأُمِّيُّ بحسب تدريبه ، والمتعلم بحسب تعلمه ، والمتعلم المثقف بحسب علمه وثقافته ، والمثقف المتخصص بحسب ثقافته عمقًا وشمولا ، وكل ما تضيفه الثقافة إلى التدريب والعلم أنها تهيء فرصًا لخلق وعيٍ بأبعاد الواجب الاجتماعية والإنسانية .

بعد ذلك التمهيد « الذي لا بد منه » نرجع إلى السؤال الأصلي عن دور المثقفين . والحق أن دور المثقفين حيال التحديات - وفي مقدمتها اليوم الإرهاب - هو حلقة في سلسلة متكاملة من الأداء الوطني ، يبدأ أول ما يبدأ بالدفاع الأمني ، لأنه إذا كان ثمة جريمة فلا تردد ولا تأجيل في التصدي لها حماية للأرواح والاستقرار والحياة الآمنة .

لقد صاحبت الصحة أعراضًا لم تكن متوقعة ، مثل الاستبداد ، والفساد ، والهزائم ، والأزمة الاقتصادية ، والظلم ، والمحسوبة . حدث ذلك فكان رد الفعل أن شابَّ الصحة في بعض مواقعها الكثير من التطرف ، وهكذا تغير الحوار وتبدل التفكير ، لم يعد لهمومنا الحقيقية ذكر في أحاديثنا التلقائية ، انحصر الكلام أوكاد في الجريمة والمطاردة والتعذيب والحجاب وشكليات لا حصر لها .

إنه إعصار يهب ، فيقتلع كل قائم ، ويُسكت تفكيرنا فيما ينفعنا ، فيما يعمر وطننا وينميه ويجمله ويجنى محاسنه .

لِنَدْعُ الله أن نتغلب على جميع الصعاب التي صاحبت الصحة ليعود إلينا التوازن ونعود إليه ، ونواصل المسيرة في رعاية رب العالمين .

١٩٩٣ / ٣ / ٤

لَعَلِّي لا أبالغ إذا قلت : إننا أمة متعددة الانتماءات ، وإن ذلك ينذر حيناً بنوع من الفوضى ، وحيناً آخر باللامبالاة .

مصر ١٩١٩ آمنت بمصريتها أولاً وأخيراً . قامت نهضتها على أساس من الوحدة الوطنية ، وتغننت بالشعار المعروف : « الدين لله والوطن للجميع » . وكان الانتماء قوياً فساند بكل ثقة ثورتنا الشعبية الكبرى ، ولم يعد ذلك على الدين بأى أثر سيء ، فظلت مصر مرجع الإسلام والتراث الإسلامى . أما القومية العربية فلم يكن لها من القوة ما كان لها في بلاد عربية أخرى ، واقتصر انعكاسها على أنشطة بعينها ، مثل الأدب وذكريات التاريخ ، كان الأساس المصرى قوياً ، فطوى بين جناحيه الدين والعروبة بدون أن تؤثر في وضوحه وقوته .

أما مصر ١٩٥٢ فقد أدركها تغير ملموس ، جعلت من القومية العربية هدفها الخارجى الأول ، وتجسد ذلك في الوحدة مع سوريا ، وحملة اليمن ، وكرست أجهزة الإعلام دعائيتها لذلك ، وتبعتها أو سبقتها كتب التربية في مدارسنا . ونشأ في الوطن فريقان : جيل ١٩١٩ الذى لم يفرط في مصريته ، حتى في حال تعاطفه مع القومية الجديدة ، وجيل ثورة يوليو الذى انتمى إلى العربية قلباً وقالباً . وقد تلقى ذلك التيار ضربة قاضية بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ثم يجيء دور الدولة في علاج الأسباب العميقة للظاهرة ، وذلك من خلال خططها الإصلاحية الهادفة للتنمية الشاملة . ونركز هنا بصفة خاصة على مكافحة البطالة ، ومحاربة الفساد ، ومقاومة الغلاء ، والإصلاح السياسى . وأخيراً وليس آخراً يجيء دور الثقافة لمناقشة التطرف وتحليل فكره ، والتصدى لآرائه وأساليبه ، وتشخيصه من النواحي الاجتماعية والنفسية ، والاجتهاد في وصف العلاج المناسب ، وكلما توافرت للثقافة وسائل التعبير - من صحافة وإذاعة وتلفزيون ومؤتمرات - كانت أقدر على إبلاغ رسالتها وتحقيق أهدافها . وربما تجاوز دور المثقف ذلك على حسب استعداده الشخصى ، فيشارك في الحياة العملية السياسية أو الاجتماعية . ولا يجوز أن نتظر رأياً واحداً عند المثقفين ، فهم يمثلون جميع الأحزاب والتيارات السياسية والاجتماعية والفلسفية والفنية ، وستحدد آراؤهم ومواقفهم تبعاً لذلك .

١٩٩٣ / ٤ / ٨

رؤية جديدة

مواجهة الإرهاب تقوم اليوم على دعامتين :

١- استراتيجية جديدة .

٢- المشاركة الشعبية .

وعن الاستراتيجية الجديدة فقد أوضح وزير الداخلية موقفه الحاسم من الخروج على الشرعية ، وفي الوقت نفسه قدم رؤية جديدة للنضال تلتزم باحترام حقوق الإنسان في أقسام الشرطة والسجون ، ورفض التعرض للأبرياء ، ومحاربة الفساد ، والبطالة . . إنه أسلوب جديد يتصدى للإرهاب باعتباره ظاهرة أمنية اجتماعية سياسية ، تُعالج بالحزم والإصلاح ، ومراعاة المبادئ الإنسانية ، وإلا كانت معركة بين إرهابيين ، ونحن ندعو الله أن تصدق الوعود ، وأن يتحقق للوطن الأمن والأمان والاستقرار ، وحقن الدماء .

ومن ذلك المنطلق تصبح دعوة الشعب للمشاركة ذات معنى ، والحق أن المشاركة تطالب الناس بالشجاعة ، والتضحية إذا لزم الأمر ، وشعبنا لا تنقصه الشجاعة ، ولا يضمن بالتضحية ، وبخاصة إذا اقتنع بأنه يدافع عن مصالحه ، وكرامته وقيمه ، ولعله يأمل بعد ذلك أن تكون

عند ذاك - وربما كرد فعل له - ظهر انتفاء جديد وكأنه المأوى والعزاء ، وهو الإسلام السياسي ، فكانت الدعوة إلى أن يعود الدين للهيمنة على الحياة كلها « الخاصة والعامة » الداخلية والخارجية ، ومن هنا جاء مطلبه بإقامة نظام حكم إسلامي ، واصطدم بالنظام القائم في صراع مازال جارياً محتملاً .

ويعاصر هذا الصراع ثلاثة انتفاءات قد أشرنا إلى كيفية ظهورها ، وهي المصرى الوطنى ، والوطنى العربى ، والإسلامى . . ولعل مهمتنا الحقيقية هي أن نخلق من تلك الانتفاءات الثلاثة انتفاءً أكبر ، يحافظ على مكوناتها الأصلية ، ويربطها برابطة تكاملية تزيدها قوة وصلابة بدلا من أن تهدر قواها في صراعات عمياء .

إنها مهمة الجميع بدءاً من رجال التربية ، وانتهاء برجال السياسة .

١٩٩٣ / ٤ / ٢٢

مشاركته في التصدي هي الخطوة الأولى في مشاركته أكبر وأشمل ، وهي المشاركة في ممارسة حقوقه السياسية ، والاجتماعية الكاملة .

وما نطلب بعد ذلك إلا أن يجيء الفعل مصدقاً للقول ، وأن تكون الاستراتيجية مرنة تتابع الواقع وتغيراته ، وأن تتحلّى بالحكمة كما تتحلّى بالحزم ، وأن نتذكر أن هدفها القومي الحقيقي هو تحقيق الأمن والأمان ، والاستقرار ، وحقن دماء المصريين .

١٩٩٣ / ٥ / ٦

المسرح هو المسرح ، والرواية هي الرواية ، والممثلون هم الممثلون ، والمتفرجون هم المتفرجون . الجوهر ثابت والتغيرات هامشية ، أما المنظر في جملته فواحد لا يطرأ عليه تغيير يُذكر . إنهم يتابعون ما يجري فوق الخشبة بعين نعسانة ثقيلة ، أو يتابعونه على الإطلاق ، وربما علّقوا ببضع كلمات أحياناً ، ولكنهم يلوذون بالصمت في أغلب الأحيان ، وقد يصحون مرة أو أكثر على حادثة تقع مثيرة للأشجان ، أو معركة دامية تندلع ، أو كارثة طبيعية تعن ، عند ذلك يتوثبون لصحوة أشد ، ويتوقعون ردود أفعال تناسب الحدث أو المعركة ، وإذا مضى توقعهم بلا ثمرة يرجعون إلى الهمس والصمت والنعاس .

لكن ما أصل الحكاية التي تجرى أحداثها فوق الخشبة ؟

في الوسط سلطة ونظام ، وعن يمينه جماعات ، وعن يساره جماعات .

بعض الجماعات شبت نقدًا ومطالبة بالتغيير بدون نتيجة حتى ملّت الكلام ، وغلب عليها الشعور بالضياع ، ولم تعد تختلف في شيء كثير عن المتفرجين ، فكأنهم جماعة من المتفرجين اتخذت مجالسها فوق المسرح لا في صالة العرض .

الجريمة في زمن البراءة

للجريمة أسباب كثيرة ومتنوعة ، منها على سبيل المثال الأمراض النفسية ، ومنها الأمراض الاجتماعية ، كالفقر والحرمان ، والشرف ، والحب والغيرة . وأكثر تلك الجرائم قد يرتكبها متعلمون ، كما قد يرتكبها جهلة من عامة الشعب . غير أن جرائم السرقة أو القتل من أجل السرقة الغالب فيها أن تنتشر في بيئة الفقر والجهل ، هذا ما جرت عليه العادة قديماً ، أما اليوم فثمة نوع من المجرمين يطالعوننا ، مجرمين من المتعلمين ، بل ومن أوساط الطلبة ، حيث يفترض أن تُوجد البراءة والمثالية والتأسي بالقدوات الصالحة .

ولنقف ملياً عند الطلبة ، رموز البراءة والمثالية ، كيف انقلب عدد منهم إلى رؤساء عصابات ، وسفاحين ومغتصبين ؟ . . بل كيف تمادى الأمر ببعضهم ليقتل أخاه أو أمه وأباه ؟ كيف يحدث هذا ؟ طبعاً لا أقول إنهم أصبحوا ظاهرة يومية ، ولكنهم لم يعودوا استثناءً نادراً . وطبيعي أن نشير إلى الفقر أو الحاجة إلى النقود بسبب أو آخر كعاملين يتركز فيهما الاتهام ، ولكن علينا أن نتذكر أن مجتمعنا لم يخل قط من الفقر أو الحاجة إلى نقود ، إذن فلا بد من البحث عن أسباب أخرى لفهم الفساد الذي دب في حياة البراءة ، وسأحاول تلخيصها فيما يأتي :

وفي الناحية الأخرى جماعات نشيطة تنطق عن تطرف شديد ، وتؤيده بين الحين والحين بالعنف ، وقد نجحت لدرجة ما في جذب الانتباه وإيقاظ الصامتين ، ولكن مضي صراعها على نمط واحد ، ودخل الحوار المتبادل بينها وبين النظام في دائرة الروتين ، فرجع المتفرجون إلى الصمت والنعاس وترديد كلمات الضيق والملل .

وفي وسط المسرح النظام الذي يقوم بالتنمية إنتاجاً وخدمات ، ويشارك في معركة مستمرة دفاعاً عن الاستقرار ، وهو يعمل بغير شك ويحارب في أكثر من ميدان وكأنه ضحية لدرجة كبيرة ليبروقراطية طاغية ، وانحراف منتشر ، وخوف شديد من استكمال الديمقراطية ، واستدعاء الشعب لتقرير مصيره .

وحتى متى يمضي الحال على ما هو عليه ؟

لعله صوت الحكمة الذي يتردد من لآخر مطالباً بالتغيير ، تغيير الرواية ، أو تغيير الإخراج على الأقل .

١٩٩٣ / ٥ / ٢٧

متى نقضى حقاً على الإرهاب؟

شغلنا الإرهاب حتى كاد يغطي على جميع مشاكلنا . . . آراؤه آية في الغرابة ، وسلوكه لا مثيل له في الوحشية ، والخسائر التي أنزلها باقتصادنا ثقيلة فادحة لا تُعوض في الزمن القصير ، وبرغم ذلك كله فهو ليس مشكلة بلا حل ، فد استطاع إبراهيم عبد الهادي أن يقضى عليه ، كما استطاع جمال عبد الناصر أن يقضى عليه ، ويبدو أنه يسلم اليوم قلاعه الأخيرة ، ولا أستبعد أن يلحق بسابقه قريباً ، وأن يستقر الأمن والأمان .

ولكنى أرجو ألا نعتبر المسألة منتهية بانتهاه الإرهاب . . . وعلينا أن نسأل أنفسنا : لم تكرر رجوعه ؟ . . . لم يرجع بعد اختفاء ليارس العنف ويسفك الدماء؟

الواقع أنه يوجد فكر إسلامي ذو طبيعة خاصة ، وأهداف معروفة على نحو ما ، ولهذا الفكر قاعدة في الشعب لا يمكن تجاهلها ، وله ممثلوه ، ولكنهم لا ينالون حقهم من الاعتراف ، سواء كهيئة أو كحزب ، ولذلك فهم محرمون من الممارسة المشروعة ، وينعكس ذلك وما يتبعه من ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية في صورة آراء متطرفة عند بعض شبابه ، وسرعان ما يندفعون نحو العنف من جديد . . . ونعود إلى

١ - ضعف التربية الدينية والأخلاقية والنفسية .

٢ - خلو الحياة من القدوة الصالحة .

٣ - الطريق المسدود أمام طموحات الشباب .

٤ - مظاهر الاستفزاز المتمثلة في الثراء الفاحش والفساد وما يذاع

عنه .

٥ - الإرهاب وإيحاءاته الوحشية .

وليس لهذه الجريمة علاج خاص بها ، ولكن علاجها تتضمنه

الوصفة العلاجية العامة الشاملة التي نسميها بالتنمية الشاملة .

١٩٩٣ / ٦ / ٢٩

خريطة المجاهدين

في مجتمعنا أحزاب كثيرة ومشكلات أكثر . ومن الطبيعي والمتوقع أن تقوم خلافات وتتضارب آراء حول المشكلات من نواحي التشخيص والعلاج والحلول المقترحة ، فَحَوَّلَ الخِصَصَةَ جدل ، وفي البطالة خلافات ، وعن الفساد تتعدد الآراء ، ولكن كل أولئك يجري في جو من المعقولة والموضوعية ، ونادراً ما يمس الإثارة ، وهو أبعد ما يكون عن العنف ، إلا مسألة نظام الحكم ، وهل يكون مدنياً أو إسلامياً ، فهذه يجتد حولها الخلاف ويشتد ، وتجنح في أحوالٍ إلى العنف وسفك الدماء ، فلا نبالغ إذا قلنا : إنها المسألة الأولى في جدول حياتنا السياسية .

ولعله من المفيد أن نلقى نظرة سريعة على موقف القوم من هذه المسألة الخطيرة .

فأما المدنيون فيتمسكون بالحكومة المدنية ، وتفضل أغليبتهم الإطار الديمقراطي ، مع إيمان بأن الدين لله والوطن للجميع ، وأكثريتهم مؤمنة ، وفيهم متدينون صادقون ، ولذلك فلا يجدون بأساً في الاعتراف بأن مصر دولة إسلامية ، وأن الشريعة هي المصدر الأساسي للتشريع ، وكثيراً ما يرددون بأن أكثر من ٩٠٪ من القوانين متوافق مع الشريعة الإسلامية .

التعامل مع العنف بما يستحقه متناسين ملابساته كلها ، ونعتبره مشكلة مفتعلة أو مستوردة ، ونحمل عليها بكل قوة حتى نسكت صوتها وفعلها ، ولكن إلى حين وليس إلى الأبد ، طالما أن المسألة الأصلية باقية بدون حل .

ولا حل لتلك العقدة إلا في الديمقراطية ، في أن يتمتع كل تيار بحقوقه المشروعة . . وأن يسمع صوته للشعب بكل تفاصيله . . في أن يدخل في حوار مثمر مع مخالفه لينتهي الحوار إلى رأى واحد أو أكثر . . ثم يكون الحكم للشعب .

١٩٩٣ / ٩ / ٢

الاحترام

وأما الإسلاميون فمنهم المتطرفون ، وفيهم يتوالد الإرهابيون ، ونظراتهم للدين تقوم على التشدد والمغالاة ، حتى ليكفروا المجتمع حكامًا ومحكومين .

ومنهم محافظون معتدلون يمكن أن نطلق عليهم بحق « السلفيين » . ومنهم المستنيريون ، ولعلمهم أقرب إلى حقيقة الإسلام ، يحترمون الفكر والديمقراطية والوحدة الوطنية ، ولديهم من المرونة والاستنارة ما يستطيعون أن يواجهوا به العصر .

ولعله من الخير للوطن ومستقبله ألا ينقطع الحوار بين هؤلاء المستنيرين والديمقراطيين ، ولعله ينكشف عن قاعدة واحدة وهدف مشترك .

١٩٩٣ / ٩ / ٣٠

يتحدثون كثيرًا عن نظرة الغرب للإسلام والمسلمين ، ورأيه فيه وفيهم ، ثم يتتهون من ذلك إلى الرأي الذي يتردد أحيانًا ، وهو أن الإسلام هو العدو المقترح والتحدى القادم للحضارة الغربية .

ولماذا يكون ذلك كذلك ؟

للرواسب التاريخية نصيب كبير ، وهناك من يعتقد أن الحرب الصليبية لا تريد أن تنتهي أبدًا .

وأخيرًا وليس آخرًا فللتأخر الحضاري شأنه الكبير .

فما الرأي في تلك الأسباب ؟

أما الرواسب التاريخية فلا أظن أنها تبقى في ذاكرة الزمن أكثر مما ينبغي ، والتاريخ يشهد ذوبان عداوات قديمة فرقت بين أمم وشعوب ، ثم توارت أمام المصالح الجديدة ونداء الحياة المتجدد .

وأما الإرهاب فما أكثر الدول التي تعاني منه ، وهو يُمارَس فيها على نحو أشد وأفظع مما يُمارَس في الدول الإسلامية ، ومع ذلك فلا يؤثر ذلك في سُمعتها ولا منزلتها .

أما التأخر الحضاري فقد نجد هنا العذر للغرب إذا هو خصنا بنظرة

خاصة غير مريحة . إن بعض الشعوب الإسلامية تحكم بطريقة بعيدة عن روح العصر ، وحقوق الإنسان بها تتعرض للاستهانة والعدوان ، والإدارة فيها تتسم بالعجز والفساد ، بالإضافة إلى تأخرها في مجالات العلم والثقافة .

وتلك حال يُسأل عنها المسلمون لا الإسلام ، فهو دين شورى ويحترم الإنسان ، ويقدم الحرية والعدل والعلم والعمل .

وأفضل من التدمير والاحتجاج على الغرب ، أفضل من ذلك أن ننقد أنفسنا ونصلحها ، ونصلح دنيانا ، فيقبل علينا الاحترام بدون شكوى أو دعاية .

١٩٩٣ / ١١ / ٢٥

حَسَنَ جَدًّا أن نفكر في حاضرنا ومستقبلنا . وحسن جدًّا أن ندعو الجميع إلى ذلك ، وإن وَجِبَ ذلك على كل مواطن بغير دعوة ، ولا يصح أن نفهم الدعوة على أنها تمييز تأجيل الاهتمام بمشكلة ، فالمشاكل مترابطة ، والتنمية يجب أن تكون شاملة ، وكما أن تجديد التعليم ضروري لضرورة الحياة نفسها ، ففضية التلوث ذات خطورة لا يمكن التهاون فيها كذلك ، فإن تأسيس أى نهضة على أساس ديمقراطى متين مَطْلَبٌ غاية في الأهمية ، ونحن نؤمن به إيماناً كاملاً .

وإذن فلتكن الدعوة بهدف إبراز أهمية هذا الموضوع وتسليط الأضواء عليه . وإنه لموضوع هامٌ حقًا ، ويتداخل في أكثر من مشكلة ، وذو أثرٍ في حاضرنا ومستقبلنا أقوى من أى شك أو خلاف ، وأعنى به الإحباط ، أو إذا شئت اليأس ، المرض القاتل لكل نفس ، والدافع الأعمى وراء شهور لا حصر لها ، وجرائم لا تحصى ، وهو كارثة إذا أصاب أى شخص ، ولكنه كارثة مضاعفة إذا تسرب إلى نفس الشاب . . فهو يعيش وينشر الظلام والعبث والجريمة والحقد والخلل العقلى ، فعلينا أن نحارب اليأس بكل الوسائل ، ومهما كلفنا ذلك من تضحيات .

وقد تكون البطالة وَكْرُهُ الأول ، ولكنه ليس الوكر الوحيد . . قد يُولد

حوار مع العنف

في المدرسة الكثيرة الناقصة ، وفي الهيئة العشوائية ، وفي المرتب الذي لا يحقق غاية ، وفي الشعور الأليم بعدم تكافؤ الفرص والتحيز ، وفي العبث بسيادة القانون في عدم احترام حقوق الإنسان .

حاربوا اليأس في أوكاره ومظانه . . إننا نحن الذين نغرسه ، ونحن الذين نحصده .

١٩٩٣ / ١٣ / ٢

لماذا يعتمد البعض إلى استعمال العنف في التعامل مع الآخرين أو مع المجتمع .

يرد أول ما يرد على الخاطر الأسباب المرضية ، عقلية كانت أو نفسية ، وما يكمن وراءها من دوافع وراثية ، أو ظروف اجتماعية .

وتمه عنف تسوق إليه القوة ، يلجأ إليه الصبي القوي أو الشاب القوي اعتزازاً بقوته العضلية في مواجهة الآخرين ، وقد ترتكبه السلطة في البلاد التي يُستهان فيها بحقوق المواطنين .

ويوجد عنف ربما فُرض بدون قصد ، يتورط فيه اللصوص إذا وقعوا في المصيدة وسدت في وجوههم سبل الفرار .

وطبعاً لا ننسى العنف المستلهم من التقاليد ، مثل الثأر ، والغضب للعرض . ولا ننسى أيضاً عنف مجرمي الحروب الذي يحصد ضحاياه بالملايين . وهناك العنف السياسي ، وينشأ عادة عند اليأس من بلوغ الهدف بالسبل المشروعة . وهذا الشعور يتكون عند الطرق المسدودة ، أو حول الأهداف التي تبدو بعيدة المنال جداً ، أو في التصرف مع عدو يتفوق في قوته لدرجه تحل بأى توازن .

وهناك ظروف ، وإن لم تؤدِّ إلى العنف بصفة مباشرة وحتمية ، فهي

حوار مع الفساد

تخلق المناخ الذى يغرى به أو يدفع إليه ، ويخلق حالة نفسية للتعاطف معه ، مثل البطالة ، وعجز الشاب عن تحقيق مطالبه المشروعة ، وانتشار الوساطة ، وانعدام تكافؤ الفرص ، وتفشى الفساد ، والاستهتار بحقوق الإنسان .

وعلى أى حال فكلما اقترب مجتمع من الصلاح ابتعد عن العنف بجميع أشكاله وصوره .

١٩٩٤ / ٣ / ١٧

لا يخلو مجتمع من فساد ، فمن الغرائز البشرية ما يدفع للعدوان والقتل والنهب ، وكافة أنواع الإيذاء ، أمّا عندما ينتقل الإنسان إلى الحياة فى مجتمع فإنه يُتاح له التفرقة بين المستقيم والفاقد ، وبين الخير والشر ، ويسن القوانين للثواب والعقاب . ومهما أوتى الإنسان من أسباب التربية والتهديب ، وحظى بالقدوة الصالحة والدين والقيم ، فستظل نسبة منه ضحية لأهوائها الجامحة ، وغرائزها الكامنة .

من أجل ذلك نجد الفساد فى جميع الدول ، متخلفة ومتقدمة ، دكتاتورية وديمقراطية ، غير أن الأمر يختلف بين دولة وأخرى فى درجة مقاومتها للفساد . فالدولة المتقدمة تمتاز بنظام تربوى راقٍ ، وقدوات صالحات فى كل مجال ، ومستوى معيشة حسن ، ومناخ نفسى أقرب للصحة والسلامة ، ومن شأن ذلك كله أن يقوى الصلاح ويقاوم الشر والفساد .

كذلك الدولة الديمقراطية ، تتوافر فيها الحريات والمراقبة ، والمتابعة والمعارضة ، واحترام حقوق الإنسان ، وتقديس القانون وهيمته على الجميع ، وتكافؤ الفرص ، وغير ذلك مما يقوى الاستقامة ويحاصر الفساد ويطارد المفسدين .

صوت التقدم

الفكر المتطرف في بلادنا قديم ، وهو يرفض كل جديد مما بشرت به الحضارة الغربية ، كذلك فإن الفكر الحديث تاريخ لا يُستهان به ، وهو يعمل على بناء دولة عصرية ، متخذاً من الحضارة الغربية قدوة يسترشد بها . وكما أن الفكر المتطرف يدّعى أنه الممثل الحقيقي للدين ، والفكر الحديث يؤكد أنه هو الممثل الحقيقي للدين الحق .

ويشهد التاريخ بأن العلاقة بين الفكرين علاقة عكسية ، فكلما قوى أحدهما ارتفع صوته وانتشر أثره ، والعكس صحيح .

وكان - وما زال - الحكم بين الفكر الحديث على تَفَاوُتٍ في درجات الحدائة بين فترة وفترة ، كذلك تفاوتت فترات حُكْمِهِ بين الصعود والهبوط ، فمن فترات صعوده إنجازات ثورة ١٩١٩ ، وإنجازات العهد الأول لحكم عبد الناصر ، ونصر أكتوبر وتحرير أرض الوطن ، ومن فترات تدهوره حريق القاهرة ، وما أعقبه من التخبط الملكي ، و ٥ يونية ، والانفتاح العشوائي ، والأزمة الاقتصادية ، والفساد .

وعند كل صعود يخفت صوت التطرف الديني ، وعند كل هبوط يرتفع صوته ويتحول إلى العنف .

من أجل ذلك فالتصدى الناجح للعنف لا يتم إلا بالعمل الشامل .

ونقيض ذلك تمامًا ما يحدث في المجتمع الاستبدادي ، حيث يرفع الحكام أنفسهم فوق القانون ، وحيث تجدد الغرائز جواً متحرراً من الخوف والمسئولية والرقابة ، فترتكب أشنع المنكرات في أمانٍ وطمأنينة ، وتمتد امتيازات الحكام إلى الأتباع والأقارب والأصدقاء والخدم ، وتخفى القيم والمبادئ ، وتنطفئ الآمال .

ومن حُسن الحظ أننا بتنا نعرف الخير وطريقه ، كما عرفنا قيمة الصدق في العمل .

١٩٩٤ / ٣ / ٢٤

مؤامرة ضد الإسلام

إن الحديث عن المؤامرات التي تُدبَّر بليلى ونهارٍ ضد الإسلام والمسلمين حديث مشهور ومُعاد ، يكاد يُحفظ عن ظهر قلب من كثرة تكراره ، ولست أنوى مناقشته ، ولكنى سأسلم به ولو احترامًا للأغلبية ، وللأغلبية حق في الاحترام لا يصح تجاهله .

ولكنى أنه - إضافة لما سبق - إلى مؤامرة لم تلق حظها من الضوء والعناية ، وهى المؤامرة التى يحيكها مسلمون ضد الإسلام والمسلمين ، ولعلها أكثر من مؤامرة واحدة ، هناك الإرهاب والإرهابيون ، وهم مسلمون متطرفون ، ولو قنعوا بالتطرف فى رأى لحق لهم ذلك ، وحق لهم أيضًا أن ينشروه بكافة الوسائل المشروعة ، ولكنهم يتجاوزون التطرف إلى العنف والإرهاب ، ولا يخفون طبيعتهم ، فهم يباهون الخلق بأنهم إرهابيون ، وأنهم يكرسون حياتهم لإرهاب المجتمع الإسلامى الكافر فى نظرهم ، ويقضون على رموزه ومؤسساته ، حتى انتهى بهم الغضب إلى قتل الأبرياء من النساء والرجال والأطفال ، فبقصد أو بغير قصد هذه مؤامرة تُوهن من تماسك الأمة وتقدمها ، وتثير فى جنسياتها البلبلة والإحباط .

هناك أيضًا أغنياء المسلمين ، وهم أثرياء لا يُستهان بثروتهم فى

أما المقاومة الأمنية والدعاية الفكرية فهما ضرورتان حقًا ، ولكنها - وحدهما - لا يجديان ، ولابد من العمل الشامل بكل قوة وإصرار . . . العمل الذى يتضمن الإصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى معاً . إنه الحرية والعدل ، والبناء والتعمير ، والتطهير من الفساد والسلبية ، وإنه التطلع إلى المستقبل بعقل يضيئه العلم ، وقلب يعمره الإيمان

١٩٩٤/٤/٢

الأخلاق

العالم . وكان يمكن أن يكونوا مرجع الأمة في تقدمها المادى ، وتفوقها الاقتصادى والعلمى ، ولكنهم ينسون إخوة الإسلام ، ويستثمرون في السوق العالمية أموالهم ، ويضمنون على أوطانهم الضعيفة إلا بالفتات ، حتى ليقال إنهم ينفقون في الخارج ٨٠ دولارًا مقابل كل دولار واحد في الداخل . . فبقصد أو بغير قصد هذه مؤامرة أخرى .

وإذا كان هذا هو حالنا مع أنفسنا فما يحق لنا لَوْمُ الغرباء .

١٩٩٤ / ٥ / ١١

كثيرًا ما نتبادل الشكوى لما حاق بأخلاقنا العامة والخاصة من تدهور . . وهو تدهور لا يستطيع أن يتجاهله أحد ، ولا أن يهون من خطورته ، وكثيرا ما نعلل ذلك بسبب محدد تبعًا لمناسبة الحديث أو على سبيل الاستسهال ، فالسبب هو الأزمة الاقتصادية ، أو البطالة ، أو حتى السينما أو التلفزيون ، ولكن ظاهرة السلوك البشرى أعظم تعقيدًا ، ومتداخلة في ظاهرات اجتماعية كثيرة ، ولن أقف أمام الأسباب العقلية والنفسية ، فهى أحوال مرضية ، وعلاجها بيد الطب قبل كل شيء . . الذى يهمنى هنا أن أعد الأسباب الاجتماعية ، لأنها الغالبة من ناحية ، ولأن مجرد ذكرها يشير إلى كيفية الخلاص منها من ناحية أخرى .

إن أخلاقنا اليوم هى الثمرة المرة لعوامل عديدة ، أقدم لك منها :

١ - حكم استبدادى أَرهَبَ الناسَ بصرامته ، حتى عَشَّشَ الخوفَ في القلوب ، والمهانة في النفوس ، وجعل من النفاق والانتهازية دستورًا للحياة .

٢ - من توابع الاستبداد الاعتماد المطلق على أهل الثقة وتفضيلهم على أهل الخبرة ، مما يهدر قيمة العلم والعمل ، ويتركى المَلَقَ والانحراف والعلاقات الخاصة والفهلوة والاستهتار .

٣ - الأزمة الاقتصادية وتوابعها من الغلاء والبطالة ، وفتكها بمحدودي الدخل ومن دونهم من الفقراء ، فكانت مدخل كثيرين إلى الانحراف بأنواعه ، والاستهانة بالروابط الحميمة التي كانت فيما مضى شبه مقدسة ، كما كانت الدافع وراء العديد من جرائم السرقة والقتل والاعتصاب والمخدرات .

٤ - الاستهانة بقدسية القانون ومخالفته جهارًا والتراخي في تطبيقه ، والإهمال في تنفيذ أحكامه .

وقد يحتاج العلاج إلى وقت ، ولن يجدى فيه الكلام والمواعظ . . لابد من التنمية الشاملة التي تشمل فيما تشمل الإصلاح السياسى والاقتصادى والتربوى والثقافى .

١٩٩٤ / ٦ / ٢

لعل أبسط تعريف للإرهاب هو استعمال القوة غير المشروعة في سبيل الوصول إلى غاية ما - إن صح هذا التعريف - فليس الإرهاب المعروف هو الإرهاب الوحيد الذى يُمارَس في المجتمع ، كل ما يتحقق بالقوة لا بالقانون أو الشرعية هو نوع من الإرهاب . والقوة لا تعنى الرصاص والقنابل فحسب ، فهناك أيضًا قوة النفوذ ، والقرباة ، والحزب ، والأسرة ، والطائفة ، والدين ، فيمكن القول بأن أية قوة تُستعمل لخرق الشرعية أو تحطى القانون هى إرهاب ، ويجب أن نعتبرها كذلك ، وأن نضعها في كفة واحدة مع الإرهاب الذى نطارده صباح مساء .

فالوصول إلى السلطة قد يكون نتيجة جهاد مشروع ، أو ثمرة لعنف إرهابى . وشغل الوظائف العامة قد يكون بحسب المجموع أو من خلال امتحان نزيه ، وقد يعتمد على قوة النفوذ والواسطة ، أى على الإرهاب . والصفقات التجارية قد تعتمد على قوانين السوق ، وقد يتحكم فيها النفوذ والرشوة ، وغير ذلك من وسائل الإرهاب الاقتصادى . وعلى هذا النحو تجرى الخدمات ، فانظر إلى ما يقع في الطريق والمستشفى والمواصلات والمصالح الحكومية ، هل تتم المعاملة وفقًا لنظام ثابت شامل لا يفرق بين شخص وآخر - أم أنه يفتح ذراعية بحرارة الترحاب لأناس ويصب على الآخرين عذاب المعاناة بغير حساب ؟

الدعوة والدعاة

في مناسبات ماضية كتبت عن الدعوة والدعاة . أشدّت بالمهمة الكبرى التي يقومون بها في حياة الأمة باعتبارهم مربّي وجدانها الديني ، والصوت المسموع في مساجدها المنتشرة في المدن والقرى . والحق أنهم بحكم طبيعة رسالتهم أقوى تأثيراً في النفوس ، وأسرعهم نفاذاً إلى القلوب ، وبوسعهم حقاً أن يسهموا في تشكيل الأجيال وبعثها من سباتها . من أجل ذلك دعوتُ إلى الارتقاء بإعدادهم إلى أعلى الدرجات العلمية والثقافية ، حتى يصبحوا أهلاً لحمل الأمانة في هذا العصر بالغ التعقيد ، والذي يسمى فيما يُسمّى بعصر العلم والاتصال والمعلومات .

ويجب ألا ننسى ما حل بنا من جراء انتشار الأفكار المتطرفة التي أساءت إلى الإسلام وأهله ، وألاً يدعو انتشارها حيناً إلى وجوب إعادة النظر فيما يجب علينا نحو الدعوة والدعاة . ولا يجوز أن ينهزم الهدى أمام التطرف وهو يملك المساجد ، ووسائل الإعلام ، والحق والحقيقة .

فعلينا أن نعد الداعية الإسلامي ، وأن نهيبه له سبل العمل الصالح . الداعية هو لسان التنوير الديني ، ويجب أن يظل في كل مكان وزمان .

نتوقع أن نعرف من الدعاة الإسلام في مضمونه وفرائضه وأخلاقه ، وأن

بعد هذا التمهيد فإنني أدعو كل قارئ لتأمل ما يحدث في مجتمعنا ، وليحكم بنفسه أهو مجتمع قانوني شرعي أم مجتمع إرهابي ؟

وأظنك تتفق معي على أن أولى درجات الحضارة أن يتحول المجتمع من مجتمع يقوم على الغريزة والقوة إلى مجتمع يحيا في ظل القانون والشرعية ليحقق الحرية والعدل .

غداً يوم آخر

تلوح لنا حياتنا المعاصرة بعالمين جديدين ، هما عالم سوق الشرق الأوسط ، وعالم الجات .

وكالعادة قد قيل عن العالمين كل ما يمكن أن يُقال من خير وشر ، فهما عند قوم طريقا الخلاص ، وعند آخرين طريقا الهلاك . والذي يبدو أن الاتجاه نحو العالمين هو أمر حتمي لا مفر منه ، وأتينا لذلك قد قررنا اختياره ، ولا أعتقد أننا اخترنا الانتحار .

إن عالم ما بعد الحرب الباردة عالم يقوم الصراع فيه على المنافسة الحرة ، ويعتمد في جوهره على إرادة الحياة والعمل ، والعلم والخبرة ، والمناخ الصالح للحياة البشرية المنطلقة ، في مثل ذلك العالم تتحدد منزلة كل أمة تبعاً لما تملك من إمكانيات ، وما تبذل من جهد .

ولا يصح أن تتلاشى ثقتنا بأنفسنا لدرجة التسليم بالانهزامية . نحن نملك موارد مادية وبشرية وقيماً روحية ، ولنا تعاملٌ قديم مع العلم والخبرة .

كل أولئك يؤهلنا لدور في المنطقة ، ولدور بالتالي في العالم .

ولكن يجب أن نعيد النظر إلى أنفسنا لننفخ فيها حياةً جديدةً تؤهل للنجاح الحقيقي في ذلك الصراع العالمي . وأقول - ولا أمل من القول مرة

تمتد دروسهم لتشمل مبدأ الشورى ، أو ديمقراطية الإسلام السياسي ، كما ينبغي أن يفهم اليوم وغداً .

وأن يحدثونا عن العدالة الاجتماعية في الإسلام ، وعن تقديس الإسلام للحرية والفكر والعمل والإنتاج .

وعن حقوق الإنسان التي قررها الإسلام ، وعمّا يمكن أن يقبله من الحقوق التي لم يقررها .

والحمد لله فلن تعوزهم المراجع قديمها وحديثها ، ولن تعوزهم الرغبة الصادقة في النهوض بالأمة في هذا العصر .

١٩٩٤ / ٨ / ٤

دعنا نلق نظرة على صحيفة أو أكثر . لا يهم الاختيار كثيرا إذا كان هناك أن نَعَلَم بالوقائع التي تصنع التاريخ في الداخل والخارج . وبخاصة إذا ركزت على المشاكل الجوهرية .

أخبار الإنجازات تتصدر الصفحة الأولى ، الإصلاح يتدفق كالسيل العَرم في كافة وجوه الإنتاج والخدمات . أجل ، إن الصحف المعارضة تقدم صورة مناقضة راكدة ، خالية من الحياة ، تموج بالشر ، والتأخر ، وخيبة الأمل . على أى حال نحن نسجل ولا ندخل في صميم الخلاف . فإذا انتقلنا إلى باب الأزمات فثمة أزمة اقتصادية وغلاء ، وما تلده من بطالة وفساد من كل شكل ولون ، والعالم أيضًا يعاني من أزمة اقتصادية وبطالة ، وفيه ما يكفيه وأكثر من حوادث الفساد .

أما عن الإرهاب فحدّث عنه ولا حرج المحلى منه والعالمى ، الدينى والعنصرى والوطنى ، حتى ملوك المخدرات احترقوا إرهاب خصومهم .

وهناك المشكلات السياسية الدموية ، تجدها في اليمن والسودان وأفغانستان ، وتبلغ ذروتها في البوسنة والصومال ورواندا .

وأبناء الفقر المنفيون في العالم الثالث ، كما في العالم المتقدم حيث يعيش ملايين تحت مستوى الفقر .

ثانية وثالثة : إننا لا نستطيع أن نتفرغ للعمل ونحن مُنهمكون في مصارعة الإرهاب ، ولا ونحن غارقون في الفساد ، ولا ونحن قانعون من الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان بهاميش لا يُغنى ولا يُجدى ، ولا ونحن خانعون للبيروقراطية والقوانين الاستثنائية . يجب أن نتحرر من كل قيد كابوسى قبل أن نطرق أبواب الحياة الجديدة .

١٩٩٤ / ٩ / ٨

ولا تُعرف له صفات خاصة بإحصائياته ومستقبله المخيف على الأرض .

إنه عالم يحفل بما يسيء ، ونادراً ما تعثر فيه على ما يسرّ ، ولعل الأخبار السعيدة تكاد تكثر في بيئة واحدة ، هي البيئة العلمية ، ففي تلك العتمة الشاملة تومض أضواء في مراكز البحوث ، دائماً بالمزيد من المعرفة والكشف عن حقائق جديدة ، والتصدي بقوة للأمراض والآفات .

افتح صحيفتك ولا تيأس من استقبال ما هو أفضل أو أجمل .

١٩٩٤ / ١٠ / ١٣

من التنوير إلى الإصلاح الشامل (*)

نبه الإرهابي النائب الرأى العام إلى أهمية الكتاب ، سواء في تجنيد الشباب للتطرف أم في إنقاذهم من الأفكار المتطرفة ، تبعاً لنوعية الكتاب ورؤيته . . وليس في ذلك اكتشاف جديد ، فمنذ قديم ونحن نعلم بالكتب والأشرطة التي تدعو إلى التطرف . . كما نعلم بكتب التنوير ، المدنى منها والدينى على السواء .

وكثيراً ما ثار النقاش حول دور الأسرة والمدرسة وأجهزة الإعلام ، فالأمر الذى لا شك فيه أن الدور الفكرى غاية فى الأهمية عند التصدى للإرهاب ، وأنه يساوى فى أهميته التصدى الأمنى الذى تقوم به أجهزة الأمن بكل قوة وشجاعة وتضحية . . ولكن يجب ألا يغيب عن البال دور الفقر والبطالة والفساد ، وكل ما يوقع الشباب فى مخالب اليأس والإحباط .

والإنسان لا يستجيب لكتب التطرف إلا إذا كان مُهيئاً لذلك نفسياً واجتماعياً ، والحائز للصحة النفسية والاجتماعية لا يميل إلى الآراء المتطرفة ، وحتى إذا اعتنقها كأفكار فى أحوال نادرة فإه لا يتحول بها إلى العنف والإرهاب معرضاً حياته السليمة العافية إلى الهلاك . . ولكن

(*) كتب أدينا الكبير « وجهة نظر » هذه قبل أيام من حادث الاعتداء الأثيم الذى تعرض له .

توترات مرضية (*)

أين المناقشة التي تنتهى كما تبدأ فى موضوعية وهدوء ومحافضة على احترام الرأى الآخر؟

ما أستطيع متابعته من مناقشات فى الأدب أو السياسة أو الفكر يتسم بطابع غالب ، هو طابع الحِدَّة والعُنْف ، وسرعان ما تتحول المناقشة من مناقشة إلى معركة ، وينتقل المؤتمر من الموضوع إلى الذات ، وتتطير الاتهامات فى الجو بحسب الظروف والأحوال ، فمن الجهل والتأخر وضيق الأفق إلى التقليد الأعمى والكفر ، والخروج على القيم الفاضلة ، وقد لا يخلو الأمر من غَمَزٍ ولِزٍ ، وتلويح بما يمس الشرف والذمة والأمانة الوطنية ، ويظل موضوع الخلاف الأصيل فى زاوية النسيان ، أو يمر عليه مرًّا طفيفًا لا يكون عادة إلا للهوامش .

الحق أن الصدور أصبحت تضيق بالمناقشة ولا تطبيق الرأى الآخر ، ولا تتسع لأى نوع من التفاهم أو التسامح ، كَأَنَّ كل صاحب رأى يرى ذاته سلطة يجب أن تكون فوق كل سلطان وفوق كل رأى ، وأنه لا يصح لمن يتعرض لها من قريب أو بعيد أن يمضى بسلام ودون عقاب شديد .

(*) كتب أدينا الكبير أيضًا « وجهة النظر » هذه قبل أيام من حادث الاعتداء الأيتم الذى تعرض له .

الأراء المتطرفة والدعوات الإرهابية قد تجد صدَى فى الأنفس التى أرهقها الفقر واليأس والشعور بالظلم . . لذلك وجد دعاة الإرهاب صيدهم سهلاً فى المناطق العشوائية ، وبين المحيطين المعدمين المحرومين .

الإرهاب مرض خطير ، علاجه يجب أن يكون شاملاً ، هو أمنى وفكرى وإصلاحى وسياسى ، ونحن لا نطالب بعمل استثنائى ، فالمجتمع الصالح القائم على الحرية والعدل هو هدف كل دولة صالحة .

١٩٩٤ / ١٠ / ٢٠

أعماله بالعربية :

- الرواية :

- ١- عبث الأقدار . ١٩٣٩ .
- ٢- رادوبيس . ١٩٤٣ .
- ٣- كفاح طيبة . ١٩٤٤ .
- ٤- القاهرة الجديدة . ١٩٤٥ .
- ٥- خان الخليلي . ١٩٤٦ .
- ٦- زقاق المدق . ١٩٤٧ .
- ٧- السراب . ١٩٤٨ .
- ٨- بداية ونهاية . ١٩٤٩ .
- ٩- بين القصرين . ١٩٥٦ .
- ١٠- قصر الشوق . ١٩٥٧ .
- ١١- السكرية . ١٩٥٧ .
- ١٢- أولاد حارتنا . ١٩٦٠ .

إن جو الإرهاب يتفشى في الأدب والفكر والجدل ، وإن اختلفت الوسائل والأهداف ، لذلك يتحمس كثيرون للحرية ، لا باعتبارها قيمة إنسانية شاملة ، ولكن باعتبارها وسيلة لتحقيق دولتهم وعقائدهم ، وإلا فهم على أتم الاستعداد للانقلاب عليها وتكبيرها .
حقاً لقد آذنتنا المعاشرة الطويلة للنظم الشمولية ، ويلزمنا إنقاذ روحى عميق .

١٩٩٤ / ١٠ / ٢٧

- ١٩٨٥ . ٣١ - العائش في الحقيقة
- ١٩٨٥ . ٣٢ - يوم قتل الزعيم
- ١٩٨٧ . ٣٣ - حديث الصباح والمساء
- ١٩٨٨ . ٣٤ - قشتمر
- القصص القصيرة :**
- ١٩٣٨ . ٣٥ - همس الجنون
- ١٩٦٣ . ٣٦ - دنيا الله
- ١٩٦٥ . ٣٧ - بيت سيئ السمعة
- ١٩٦٩ . ٣٨ - خمارة القط الأسود
- ١٩٦٩ . ٣٩ - تحت المظلة
- ١٩٧١ . ٤٠ - حكاية بلا بداية ولا نهاية
- ١٩٧١ . ٤١ - شهر العسل
- ١٩٧٣ . ٤٢ - الجريمة
- ١٩٧٩ . ٤٣ - الحب فوق هضبة الهرم
- ١٩٧٩ . ٤٤ - الشيطان يعظ
- ١٩٨٢ . ٤٥ - رأيت فيما يرى النائم
- ١٩٨٤ . ٤٦ - التنظيم السري
- ١٩٨٧ . ٤٧ - صباح الورد

- ١٩٦١ . ١٣ - اللص والكلاب
- ١٩٦٢ . ١٤ - السمان والخريف
- ١٩٦٤ . ١٥ - الطريق
- ١٩٦٥ . ١٦ - الشحاذ
- ١٩٦٦ . ١٧ - ثرثرة فوق النيل
- ١٩٦٧ . ١٨ - ميرamar
- ١٩٧٢ . ١٩ - المرايا
- ١٩٧٣ . ٢٠ - الحب تحت المطر
- ١٩٧٤ . ٢١ - الكرنك
- ١٩٧٥ . ٢٢ - حكايات حارتنا
- ١٩٧٥ . ٢٣ - قلب الليل
- ١٩٧٥ . ٢٤ - حضرة المحترم
- ١٩٧٧ . ٢٥ - ملحمة الحرافيش
- ١٩٨٠ . ٢٦ - عصر الحب
- ١٩٨١ . ٢٧ - أفراح القبة
- ١٩٨٢ . ٢٨ - ليالى ألف ليلة
- ١٩٨٢ . ٢٩ - الباقي من الزمن ساعة
- ١٩٨٣ . ٣٠ - رحلة ابن فطوطة

* وتنوى الدار المصرية اللبنانية - بإذن الله - مواصلة نشر مقالاته التي كان قد بدأها عام ١٩٣٤ ونُشرت في المجلات والصحف المختلفة داخل وخارج مصر .

المسرحيات :

سبع مسرحيات من ذات الفصل الواحد ، خمس منها في مجموعة «تحت المظلة» وهي :

٦٢- يميت ويُنحي .

٦٣- التركة .

٦٤- النجاة .

٦٥- مشروع للمناقشة .

٦٦- المهمة .

ومسرحيتان في مجموعة «الشیطان يعظ» هما :

٦٧- الجبل .

٦٨- الشيطان يعظ .

* أعد مصطفی بهجت مصطفی المسرحيات الثلاث الأولى وحوّلها إلى العامية ، وأخرجها أحمد عبد الحلیم علی مسرح الجیب عام ١٩٦٩ بعنوان «تحت المظلة» .

١٩٨٩ .

٤٨- الفجر الكاذب

٤٩- القرار الأخير

الترجمات والحوارات :

١٩٣٢ .

٥٠- مصر القديمة

١٩٨٣ .

٥١- أمام العرش

(سيرة ذاتية) :

كتب للأطفال

١٩٩٥ .

٥٢- أصدقاء السيرة الذاتية

٥٣- عجائب الأقدار

المقالات :

٥٤- حول الدين والديمقراطية .

٥٥- حول الشباب والحرية .

٥٦- حول الثقافة والتعليم .

٥٧- حول التدين والتطرف .

٥٨- حول العدل والعدالة .

٥٩- حول التحرر والتقدم .

٦٠- حول العلم والعمل .

٦١- حول العرب والعروبة .

الروايات والقصص التي أعدت للمسرح :

- ١- زقاق المدق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٥٨ .
- ٢- بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الرحيم الزرقانى ١٩٦٠ .
- بداية ونهاية : إعداد أحمد عبد المعطى ، إخراج فتحى الحكيم ١٩٧٦ .
- بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الغفار عودة ١٩٨٦ .
- ٣- بين القصرين : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج صلاح منصور ١٩٦٠ .
- ٤- قصر الشوق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٦١ .
- ٥- اللص والكلاب : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج حمدى غيث ١٩٦٢ .
- ٦- الجوع : إعداد فايز حلاوة وإخراجه (قهوة التوتة) ١٩٦٢ .
- ٧- خان الخليلي : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٨٦٣ .
- ٨- روض الفرج : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٤ .

٩- ميرamar : إعداد نجيب سرور وإخراجه ١٩٦٩ .

- ١٠- القاهرة ٨٠ : إعداد سمير العصفورى وإخراجه ١٩٨٩ .
- ١١- حارة العشاق إعداد أحمد عبد المعطى ، وإخراج أحمد هانى ١٩٨٩ .

السيناريوهات :

- ١- المتقم : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٧ .
- ٢- عنتر وعبله : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٨ .
- ٣- لك يوم يا ظالم : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إميل زولا «تريز راكان» ١٩٥١ .
- ٤- ريا وسكينة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٣ .
- ٥- الوحش : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٤ .
- ٦- جعلونى مجرماً : إخراج عاطف سالم ١٩٥٤ .
- ٧- فتوات الحسينية : إخراج نيازى مصطفى ١٩٥٤ .
- ٨- شباب امرأة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة أمين يوسف غراب ١٩٥٥ .
- ٩- درب المهايل : إخراج توفيق صالح ١٩٥٥ .
- ١٠- النمروذ : إخراج عاطف سالم ١٩٥٦ .

الروايات والقصص التي أعدت للسينما :

- ١- بداية ونهاية : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٠ .
- ٢- زقاق المدق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٣ .
- ٣- اللص والكلاب : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣ .
- ٤- بين القصرين : إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ .
- ٥- الطريق : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٤ .
- ٦- خان الخليلي : إخراج عاطف سالم ١٩٦٦ .
- ٧- القاهرة ٣٠ : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٦ .
- ٨- قصر الشوق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٧ .
- ٩- السمان والحريف : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٨ .
- ١٠- ميرamar : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٩ .
- ١١- السراب : إخراج أنور الشناوى ١٩٧٠ .
- ١٢- ثرثرة فوق النيل : إخراج حسين كمال ١٩٧١ .
- ١٣- صور ممنوعة : إخراج مذكور ثابت ، (من خمار القط الأسود) ١٩٧٢ .
- ١٤- السكرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧٣ .
- ١٥- الشحات : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

- ١١- الفتوة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٧ .
- ١٢- الطريق المسدود : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٨ .
- ١٣- الهاربة : إخراج حسن رمزي ١٩٥٨ .
- ١٤- أنا حرة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٩ .
- ١٥- إحنا التلامذة : إخراج عاطف سالم ١٩٥٩ .
- ١٦- بين السماء والأرض : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٩ .
- ١٧- جميلة : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعي ١٩٥٩ .
- ١٨- الناصر صلاح الدين : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعي ١٩٦٣ .
- ١٩- ثمن الحرية : إخراج نور الدمرداش ١٩٦٥ .
- ٢٠- الاختيار : إخراج يوسف شاهين ١٩٧١ .
- ٢١- دلال المصرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧١ .
- ٢٢- ذات الوجهين : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .
- ٢٤- المجرم : إخراج صلاح أبو سيف (لك يوم يا ظالم) ١٩٧٨ .
- ٢٥- وكالة البلح : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٣ .

- ١٦ - أميرة حبي أنا : إخراج حسن الإمام ، (من المرايا) ١٩٧٤ .
 ١٧ - الكرنك : إخراج على بدرخان ١٩٧٥ .
 ١٨ - الحب تحت المطر : إخراج حسين كمال ١٩٧٥ .
 ١٩ - الشريدة : إخراج أشرف فهمي ، (من همس الجنون) ١٩٨٠ .
 ٢٠ - فتوات بولاق : إخراج يحيى العلمي ، (من حكايات حارتنا)
 ١٩٨١ .

المقاهى .. فى حياته :

- ١ - مقهى عربى بالعباسية .
 ٢ - مقهى قشتمر بشارع الجيش .
 ٣ - مقهى الفيشاوى بالحسين .
 ٤ - مقهى زقاق المدق .
 ٥ - مقهى الفردوس .
 ٦ - مقهى ركسى .
 ٧ - مقهى لونا بارك .
 ٨ - مقهى أحمد عبده بالحسين .
 ٩ - مقهى على بابا بالتحريير .
 ١٠ - مقهى ريش بالتحريير .

- ١١ - كازينو قصر النيل .
 ١٢ - كازينو كليوباترا .
 ١٣ - مقهى ديليسبس بالإسكندرية .
 ١٤ - كازينو بترو بسيدى بشر .
 ١٥ - كازينو ميرامار بالإسكندرية .
 ١٦ - كازينو سان استيفانو .

كتبه .. مترجمة إلى اللغات الأخرى

١٩٦٠ .	بيروت	ق . المنصور	١ - همس الجنون
١٩٦٢ .	جامعة القاهرة	صفية ربيع	٢ - الزعبلاوى
١٩٦٤ .	دورية أمريكية	روجر السن	٣ - دنيا الله
١٩٦٦ .	جامعة ميتشجان	تريفور لوجاسيك	٤ - زقاق المدق
١٩٦٧ .	دورية بريطانية	نسيم رجوان	٥ - الزعبلاوى
١٩٦٧ .	جامعة أكسفورد	دنيس جونسون	٦ - الزعبلاوى
١٩٦٨ .	جامعة الإسكندرية	عمود المنزلاوى	٧ - قصص قصيرة
١٩٦٨ .	دار المعارف (القاهرة)	عمود المنزلاوى	٨ - دنيا الله
١٩٧٣ .	دار أمريكية	روجر السن	٩ - دنيا الله
١٩٧٣ .	جامعة بيروت	جوزيف أولين	١٠ - القصص القصيرة
١٩٧٥ .	لندن	تريفور لوجاسيك	١١ - زقاق المدق
١٩٧٦ .	لندن	دنيس جونسون	١٢ - تحت المظلة
١٩٧٧ .	دار أمريكية	روجر السن	١٣ - المرايا
١٩٧٧ .	كندا	سعد الجبلأوى	١٤ - خمارة القط الأسود
١٩٧٨ .	لندن	فاطمة مرسى	١٥ - ميرامار

كتب عربية .. عن حياته وأعماله

١٩٦٧	هيئة الكتاب (القاهرة)	د . نبيل راغب	١ - قضيته الشكل الفني
١٩٦٧	دار المعارف (القاهرة)	د . غالى شكرى	٢ - المتتمى
١٩٧٠	دار المعارف (القاهرة)	محمود أمين العالم	٣ - تأملات في عالم محفوظ
١٩٧١	دمشق	أحمد محمد عطية	٤ - مع نجيب محفوظ
١٩٧٢	الكويت	د . محمد حسن عبدالله	٥ - الإسلامية في أدب محفوظ
١٩٧٣	بيروت	جورج طرابيشى	٦ - الله في رحلة محفوظ
١٩٧٤	دار المعارف (القاهرة)	د . محمود الربيعى	٧ - قراءة الرواية في عالم محفوظ
١٩٧٤		د . رجاء عيد	٨ - دراسة في أدب محفوظ
١٩٧٥	هيئة الكتاب (القاهرة)	هاشم النحاس	٩ - محفوظ على الشاشة
١٩٧٨	دار المعارف (القاهرة)	د . عبد المحسن طه بدر	١٠ - الرؤية والأداة
١٩٧٨	دار الفكر المعاصر (القاهرة)	إبراهيم فتحى	١١ - العالم الروائى عند محفوظ
١٩٧٩	بيروت	د . على شلش	١٢ - نجيب محفوظ
١٩٨٠	هيئة الكتاب (القاهرة)	يوسف الشارونى	١٣ - الروائيون الثلاثة
١٩٨٠	بيروت	جاك جوميه	١٤ - ثلاثية نجيب محفوظ
١٩٨١	بيروت	د . فاطمة الزهراء سعيد	١٥ - الرمزية في أدب محفوظ
١٩٨٢	تل أبيب	ساسون سومينخ	١٦ - دنيا نجيب محفوظ
١٩٨٢	المكتبة الثقافية (القاهرة)	د . ناجى نجيب	١٧ - قصة الأجيال
١٩٨٢	عكا	ساسون سومينخ	١٨ - أدب نجيب محفوظ
١٩٨٤	هيئة الكتاب (القاهرة)	د سيزا قاسم	١٩ - بناء الرواية
١٩٨٦	هيئة الكتاب (القاهرة)	نبيل فرج	٢٠ - محفوظ حياته وأعماله
١٩٨٧	أخبار اليوم (القاهرة)	جمال الغيطانى	٢١ - محفوظ يتذكر
١٩٨٨	هيئة الكتاب (القاهرة)	يوسف نوفل	٢٢ - الفن القصصى
١٩٨٨	الهلال (القاهرة)	د . رشيد العنانى	٢٣ - عالم نجيب محفوظ

١٩٨٤ .	الجامعة الأمريكية	تريفور لوجاسيك	١٦ - اللص والكلاب
١٩٨٤ .	الجامعة الأمريكية	أوليف كينسى	١٧ - أفراح القبة
١٩٨٥ .	الجامعة الأمريكية	روجر السن	١٨ - السمان والحريف
١٩٨٥ .	الجامعة الأمريكية	رئيس عوض	١٩ - بداية ونهاية
١٩٨٦ .	الجامعة الأمريكية	كريستين وكرهنرى	٢٠ - الشحات
١٩٨٦ .	لندن ونيويورك	رشيد العنانى	٢١ - حضرة المحترم
١٩٨٧ .	الجامعة الأمريكية	رشيد العنانى	٢٢ - حضرة المحترم
١٩٨٧ .	الجامعة الأمريكية	محمد إسلام	٢٣ - الطريق
١٩٨٧ .	جدة	عادل إلياس	٢٤ - اللص والكلاب
١٩٨٨ .	واشنطن	سعاد صبحى	٢٥ - حكايات حارتنا

كتب .. تضمنت فصولاً عنه

- لطف حسين - عباس خضر - فؤاد درارة - على الراعى - جلال العشرى -
رشاد رشدى - يوسف الشارونى - غالى شكرى - صلاح عبد الصبور - لويس
عوض - شكرى عياد - سيد قطب - أنور المعداوى - محمد مندور - فاروق
منيب - رجاء النقاش - حسن البندارى - فتحى العشرى .

كتب أجنبية .. عن أعماله

- | | | | |
|--------|-------------------|-------------------|----------------------|
| ١٩٦٦ . | بيروت | تريفور لوجاسيك | ١ - زقاق المدق |
| ١٩٧٢ . | الأنجلو (القاهرة) | عادل إلياس | ٢ - عالم محفوظ |
| ١٩٧٢ . | تل أبيب | ساسون سوميخ | ٣ - دنيا محفوظ |
| ١٩٧٢ . | أمريكا | روجر السن | ٤ - المرايا |
| ١٩٧٣ . | هولندا | ساسون سوميخ | ٥ - روايات محفوظ |
| ١٩٧٤ . | لندن | هيلارى كيلبا تريك | ٦ - الرواية المصرية |
| ١٩٧٩ . | كندا | سعد الجبلاوى | ٧ - الكرنك |
| ١٩٨٠ . | تل أبيب | ساسون سوميخ | ٨ - حكايات حارتنا |
| ١٩٨١ . | لندن | فيليب ستيرورات | ٩ - أولاد حارتنا |
| ١٩٨٣ . | لندن | على جاد | ١٠ - الرواية المصرية |
| ١٩٨٣ . | نيوجرسى | بيليد ماتيتياهو | ١١ - أعمال محفوظ |

دراسات أجنبية .. عن أعماله

١٩٦٤ .	دورية أمريكية	روجر السن	١ - دنيا الله
١٩٧٠ .	هولندا	مناحم ميسون	٢ - الروايات والقصص
١٩٧٠ .	هولندا	ساسون سومينخ	٣ - الزعبلوى
١٩٧١ .	بريطانيا	فاتيكوتس	٤ - أولاد حارتنا
١٩٧٢ .	دورية أمريكية	روجر السن	٥ - المرايا
١٩٧٣ .	دورية أمريكية	روجر السن	٦ - المرايا
١٩٧٤ .	هولندا	منى نجيب ميخائيل	٧ - نجيب محفوظ
١٩٧٥ .	لندن	ر. س. أوستيل	٨ - الأدب العربى
١٩٧٦ .	هولندا	صبرى حافظ	٩ - الرواية المصرية
١٩٧٦ .	أميركا	حسن الشامى	١٠ - بين القصرين
١٩٧٦ .	لندن	فاطمة موسى	١١ - زقاق المدق
١٩٧٧ .	هولندا	اكسيفير فرانسيس	١٢ - النساء عند محفوظ
١٩٧٧ .	واشنطن	تريفور لوجاسيك	١٣ - الكرنك
١٩٨٤ .	هولندا	جابر ايبيل مائير	١٤ - المجتمع الإسلامى
١٩٨٥ .	هولندا	جرير أبو حيدر	١٥ - أولاد حارتنا

رسائل جامعية .. عنه

١٩٦٣ .	أكسفورد	فيليب ستورات	أولاد حارتنا	١ - ماجستير
١٩٧١ .	كاليفورنيا	بيليد ماتينهاو	الأعمال الأدبية	٢ - دكتوراه
١٩٧٢ .	كولومبيا	أكسفورد فرانسيس	الروايات	٣ - دكتوراه
١٩٧٢ .	متشجان	منى نجيب ميخائيل	أدبه	٤ - دكتوراه
١٩٧٤ .	أكسفورد	على جاد	الرواية المصرية	٥ - دكتوراه
١٩٧٥ .	لندن	ر . س . أوستيل	الأدب العربي	٦ - دكتوراه
١٩٧٩ .	أوكلاهوما	عادل إلياس	اللص والكلاب	٧ - دكتوراه
١٩٧٩ .	آلستر	عبد الوهاب الحاكمي	التجديد والتقليد	٨ - دكتوراه
١٩٨٠ .	ألينوز	سمير مصطفى	أهل القاهرة	٩ - دكتوراه
١٩٨١ .	أدنبرة	عدنان الوزان	الواقعية	١٠ - دكتوراه
١٩٨٢ .	متشجان	أحمد الروبي	الموت	١١ - دكتوراه
١٩٨٢ .	أكسفورد	محمد محمود	أدبه	١٢ - دكتوراه
١٩٨٤ .	أريزونا	ريتشارد كينيث	السلطة	١٣ - ماجستير
١٩٨٤ .	أدنبرة	حسين يوسف حسين	الروايات التاريخية	١٤ - دكتوراه
١٩٨٤ .	آلستر	أ . البسام	دراسة مقارنة	١٥ - دكتوراه
١٩٨٤ .	آلستر	رشيد الغساني	حضرة المحترم	١٦ - دكتوراه
١٩٨٤ .	ألينوز	منى شفيق فايد	العيشية	١٧ - دكتوراه
١٩٨٧ .	آلستر	سعاد فطيم	بين القصرين	١٨ - دكتوراه
١٩٨٨ .	كونيتيكت	سميحة صليب	زقاق المدق	١٩ - ماجستير